سفر

رواية





المشروع القومى للترجمة

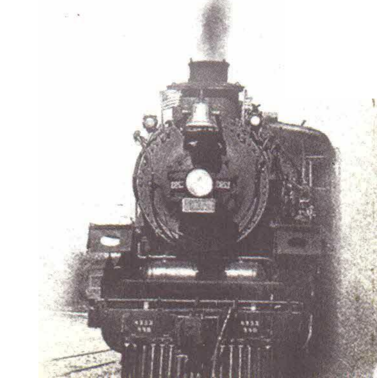
تأليف
محمود دولت آبادى
ترجمة
سليم عبد الأمير حمدان

584





سحب مختار نفسه - دون أن ينظر أو ينبس - من إطار الباب إلى الخارج، وانطلق على الرصيف. لم يكن يحس خطوه. كانت قدماه تأخذانه معهما بحكم العادة. لم يكن حزينًا، ولم يكن غاضبًا أيضًا. كان سئمًا، نوع من الارتخاء المتوجع، كما لو أنه لم يكن يرتبط بأى مكان، وكما لو أنه لم يكن له حتى اليوم أى ماض وراءه، كما لو كان سائبًا، سقط من الفضاء! ما كان هذا العمر إذن؟ أكان ضائعًا؟ أفيمكن أن يخسر الإنسان عمره بهذه السهولة ولا يفهم، إلا مؤخرًا، أنه خسره؟ وماذا عنده بدلاً عنه؟ نظر مختار بلا إرادة إلى يديه. كانتا خاليتين، خشنتين وتعلوهما العقد. تناول ذيل جاكتته، الذى تدلى من فوق كتفه، وأقره على كتفه وواصل طريقه. أرخى خطوه أمام حانوت الخباز، أخذ خبزًا وعاود المسير. كان هذا دأبه كل ليلة، إلى أن رفع رأسه، كان قد وصل خارج المدينة، وكانت ظلمة الخارج المدخَّنة تلف كل مكان. لف حول بضع عربات متداعية وبعض براميل متهرئة وعمود كهرباء متجهًا إلى النيسم جنب السكة الحديد. سار قليلاً فى الشريط أدنى الخط ثم اشتهى أن يتحرك على العوارض الخشبية بين السكتين، فجرجر نفسه أعلى المنحدر وشرع يمشى على العوارض الضخمة بين السكتين.



تصميم مروة أحمد

المشروع القومى للترجمة



سَفَر

(روايــة)

تأليف : محمود دولت آبادى

ترجمة : سليم عبد الأمير حمدان



المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٨٤
- سَفَر (رواية)
- محمود دولت أبادى
- سليم عبد الأمير حمدان
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٥

هذه ترجمة رواية :

سـفـر

محمود ابادى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

سفر

مقدمة المترجم

تعريف ...

إذا كان محمود دولت آبادى (١٩٣٩ -   ) لقى تكريماً رسمياًّ فى إيران فى السنوات الأخيرة، فإن ذلك يعود أساساً إلى انتشار سمعته فى الأوساط الثقافية العالمية، وخاصة بعد ما أشيع عن ترشيحه لجائزة نوبل قبل بضع سنوات.

وقد شمل تكريمه الرسمى فى إيران منحه جائزة تقديرية عن مجمل أعماله الأدبية طوال عشرين سنة مرت على انتصار الثورة الإيرانية، وذلك فى سنة ١٩٩٩

* * *

كتب دولت آبادى العديد من القصص القصيرة والروايات والمسرحيات وسيناريوهات الأفلام والمقالات فى موضوعات مختلفة، أهمها الموضوعات الثقافية والفكرية والنقد الأدبى منذ سنة ١٩٦٢ إلى ١٩٨٨ ، أى إلى "عتبة كليدر"، كما يحلو له أن يقول، حين تفرغ بعدئذ لكتابة الرواية، عدا أنه كتب قصة قصيرة أرسل إلىَّ نسخة منها قبل النشر.

كما أنه مارس التمثيل والإخراج المسرحيين.

وقـد تميـز من أعـمـاله رواية "مكان سلوچ الخـالى"(*)، التى تروى كفاح امرأة ريفية لإدامة حياة عائلتها بعد اختفاء زوجها بشكل مفاجئ. ثم حاز شـهرة عالمية بعد الشروع فى ترجمة روايته الضخمة "كلبدر"(**) إلى الألمانية، وهى تحكى انتفاضة راعٍ بسيط وقيادته حركة تمرد واسعة بسبب ظروف لعب فيها تعسف السلطات، وخصوصًا ممثليها الذين هم على احتكاك واسع مع أبنـاء الريـف - أى الجندرمة - دورًا قـاهرًا. ولم تكن الشهرة التى نالها دولت آبادى خارج بلاده بعيدة عن التأثير فى مركزه، رسميًا، فى إيران...

وتنويه

تزيد الحروف الفارسية عن العربية بأربعة، هى :

پ، مثلث، ويلفظ مثـل P الإنجليزى.

چ، مثلث، ويلفظ كما Ch الإنجليزية.

ژ، مثلث، ويلفـظ مثـل J الفرنسى، أو الجيم السورية.

گ (الفـارسيـة) بإضـافـة خـط فـوق الكاف، ويلفظ مـثل G الألمانى والجيم المصرية و/أو اليمنية.

(*) صدرت ترجمتها العربية عن دار المدى فى دمشق، فى أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢.

(**) اسم سـهل فى محـافظة خراسان، هَجّر إليـها رضـا هلوى، الذى استولى على ملك إيران فى عشرينيات القرن العشرين، بعض القبائل الكردية لتسهيل السيطرة عليها. وتقع الرواية فى عشرة أجزاء تستغرقها نحو ٢٨٠٠ صفحة.

ويلفظ حرف (الواو المحرّك) مثل V الإنجليزى أو W الألمانى.

وقد تركت الباء المثلث والواو المحرك، كما لو كانا حرفين عربيين، وللقارئ أن يلفظهما كما ذكرت.

ورسمت (چ) كما يرسمونه فى الفارسية، تمييزًا له عن غيره. بينما رسمت حرف الزاى المثلث جيمًا حيث لا تفاوت كبيرًا فى لفظهما عن الجيم العربية. أما الگاف الفارسية، فاخترت لها رسم السوريين واللبنانيين والعراقيين : وهو حرف الغين.

- ١ -

كان غروب ثقيل قد ملأ حانوت الأُسطى صفى. تسعة أيام وتسع ليال. كان الجو كدراً، كمثل غبار خلط بالدخان. فى لون الجو الثقيل، كانت سوادات الجدار وبقعه قد ضاعت عن النظر. كان كانون الحدادة الصغير مطفأ، ومختار واقفًا يفكر. ربما لم يكن هو نفسه منتبهًا إلى حاله، ولكنه قد تيبس فوق الكانون بلا صوت، مبهوتًا، على نحو وكأنه يبحث عن شيء وسط الرماد المنطفئ.

كان الأُسطى صفى، وهو رجل نحيل تعرج ساقه اليسرى قليلا، جالسًا خارج الباب، عند جذر الحائط على مقعد واطئ، يجول فى خياله ويدخن سيجارة. كأن حديثًا كان جرى قبلاً بين مختار والأُسطى صفى راحا الآن، كلاهما، يفكران فيه. كان الأسطى صفى ينتظر أن يقول مختار شيئًا، ولكن مختاراً كان لايزال صامتًا ومنطويًا على نفسه. نهض الأسطى صفى أخيراً عن المقعد نصف نهوض، حشر رأسه وكتفه إلى داخل جو الحانوت المعتم وقال:

- منك الاستئذان ومنى بالسلامة. وأنا أغلقه وأسلمه للبلدية. وأنا أيضًا أغوص فى التفكير فى أن أفتح محل بيع مستعملات.

ولربما صرت شريكًا فى محل أخى للمستعملات. مع هذه الجرارات والدرّاسات، من الذى يأتى الآن كى يشترى منى ومنك محراث حديد أو شفرة؟! وهذه العربات الأربع التى تتراقص الآن فى قعر المدينة ستنفُق أيضًا بعد أربعة أيام، لقد حان حين زوالها.

انتبه مختار لنفسه. رفع رأسه، ذهب نحو الجدار ورفع جاكتته عن المسمار وجاء، متجهًا إلى الأُسطى صفى، إلى باب الحانوت وبقى فى إطار الباب. نهض الأُسطى صفى عن مكانه وقال:

- حلِّلْنا. لو كنت رأيت منا سوءًا أو خيرًا...

سحب مختار نفسه، دون أن ينظر أو ينبس، من إطار الباب إلى الخارج وانطلق على الرصيف. لم يكن يحس خطوه. كانت قدماه تأخذانه معهما بحكم العادة. لم يكن حزينًا. ولم يكن غاضبًا أيضًا. كان سئمًا. نوع من الارتخاء المتوجع. كما لو أنه لم يكن يرتبط بأى مكان. وكما لو أنه لم يكن له حتى اليوم أى ماض وراءه. كما لو كان سائبًا. سقط من الفضاء! ما كان هذا العمر إذن؟ أكان ضائعًا؟ أفيمكن أن يخسر الإنسان عمره بهذه السهولة ولا يفهم، إلا مؤخرًا، أنه خسره؟ وماذا عنده بدلاً عنه؟ نظر مختار بلا إرادة إلى يديه. كانتا خاليتين، خشنتين وتعلوهما العقد. تناول ذيل جاكتته، الذى تدلى من فوق كتفه، وأقره على كتفه وواصل طريقه. أرخى خطوه أمام حانوت الخباز، أخذ خبزًا وعاود المسير. كان هذا دأبه كل ليلة. إلى أن رفع رأسه، كان قد وصل خارج المدينة وكانت ظلمة الخارج الدخِنة تلف كل مكان. لف حول بضع عربات متداعية وبعض براميل متهرئة وعمود كهرباء متجهًا إلى النيسم جنب

السكة الحديد. سار قليلاً فى الشريط أدنى الخط ثم اشتهى أن يتحرك على العوارض الخشبية بين السكتين، فجرجر نفسه أعلى المنحدر وشرع يمشى على العوارض الضخمة بين السكتين.

- أُسطى مختار، يا أُسطى مختار!

أدار مختار رأسه نحو الصوت، كانت عربة تجرها الخيل تقف جنب السكة وكانت بى بى[1] تخرج رأسها من جانب العربة، تحت السقف، وتناديه:

- تعال، تعال اركب نذهب معًا.

هبط مختار منحدر كتف السكة راكضًا ومضى نحو العربة ووضع قدمًا على الركاب فانطلقت العربة. كانت مع بى بى، كالمعتاد، بقچة، وعندما صعد مختار رفعها ووضعها على ركبتيه كى يفسح لنفسه مكانًا. عندما استقر مختار سأل عن حال بى بى، فقالت بى بى جوابًا:

- لماذا تمشى فوق السكة؟

فقال لها مختار:

- أتأكلين خبزًا؟

وسألت بى بى:

- كيف حال خاتون؟ وابنتك؟

قال مختار:

– بخير، ليستا على سوء. متأخرة؟

فقالت بى بى:

– كان عند السيدة ليلة أمس ضيوف حتى وقت متأخر. واليوم كنت حتى الآن أغسل الصحون والوسائد. ثم إن السيد نفسه عاد من الخارج أول من أمس.

فقال مختار بلهجة لم يَفهم ما كانت:

– الخارج؟!

دارت العربة إلى تحت الجسر، وواصلت طريقها على الجانب الآخر. فى المقابل، على مسافة بعيدة، كان الضوء الخافت لبويب غرفة مختار يُشاهَد. وقفت العربة عند الجدار، نزلت منها بى بى ومختار، أعطت بى بى أجرة العربة، وحمل مختار البقچة وذهب إلى الباب فقرعه بخطم حذائه. فتحت خاتون الباب بوجه رجلها، ومد هو قدماً إلى المجاز، وضع البقچة بيد زوجته وذهب إلى الغرفة، فوضع الخبز على حاشية الرف، وجلس متكئًا بظهره على كومة الفراش. جاءت خاور، ابنته، من طرف ستارة المختلى[٢] نحوه وجلست على ركبتيه وحكت الجرذ، الذى صنعته لها أمها من منديل، على خطم أبيها وأنفه عدة مرات، ثم – لما رأته بارداً – ذهبت نحو الباب وألصقت نفسها بساقى بى بى، فرفعتها بى بى، بمشقة، واحتضنتها وجاءت بها فأجلستها فى زاوية وفتحت البقچة أمامها كى تعطيها الفواكه الساقطة التى جمعتها لها والقطع البالية التى جلبتها لها.

جلست خاتون، التى أتمت السؤال عن الأحوال مع أمها فى المجاز، عند السماور وصبت قدح شاى لأمها وجلبت واحداً فوضعته أمام رجلها. شرب مختار، راضيًا أو مكرهًا، الشاى، وضع القدح فى الصحن، نهض عن مكانه وألقى جاكتته على الفراش وانشغل برفع كُميه ثم خرج من الباب. خرجت خاتون أيضًا وراء مختار وملأت له الإبريق ماءً. جلس مختار، مشمّر الكمّين، عند حافة الحفرة وأمسكت خاتون الإبريق فوق يديه وانصرفت إلى سكب الماء. فرك مختار يديه وقبضتيه الضخمتين والخشنتين ببعضهما وصب قبضة ماء على مرفقه وهمهم متمتمًا بآية ما.

سألت خاتون:

- تعاركت مع أحد؟

فقال مختار:

- مالى والعراك؟

- ماذا إذن؟

- لا شىء!

- لا شىء؟ هكذا بلا سبب أطبقت براطمك؟

أكمل مختار غسل يديه، نهض فمسح قدميه ورأسه وقال:

- يريد الأسطى صفى أن يفتح محل بيع أثاث قديم!

قالت خاتون:

– ماذا عنك إذن؟

ملأ صفير القطار الممتد مكان جواب مختار. انطلق مختار نحو المجاز، وضع قدمًا في الغرفة وراح يجفف بالستارة يده ووجهه. كان السماور يغلي ملقلقًا. مضت خاتون كي تصب فوقه ماء. كانت خاور تلعب بالبرتقالة التي جلبتها لها بي بي، وانشغلت بي بي بإقحام جوارب متخالفة على قدمي حفيدتها. رفع مختار سجادة الصلاة عن الرف، بسطها ووقف يصلي. لم تكن خاتون منتبهة إلى رجلها. ظهرها إليه، عابسة وغضبى، جلست عند السماور وفيما هي ترفع غطاء السماور وتحرف وجهها جانبًا عن البخار الحاد للماء المغلي قالت:

– ماذا إذن بشأن محل حدادته؟ ماذا يصير بك إذن؟

كان مختار قد دخل الإقامة:

– الله أكبر؟

بعد الصلاة، كان العشاء. وعلى العشاء أيضًا لم يكن مختار يعطي أجوبة على أسئلة خاتون وبي بي وكان صامتًا. بعد العشاء، ذهبت بي بي وخاور بسرعة إلى المختلى، فرشتا فراشيهما ونامتا. لا بمعنى النوم، وإنما هكذا. تمددتا، خاصة بي بي، التي كانت تسترق السمع من وراء الستارة، بعينين مفتوحتين وقلقتين، لكي تسمع سريعًا ما قد يخرج من فم مختار من كلام.

فى الغرفة، كان مختار وخاتون متمددين جنب بعضهما . كانت فتيلة السراج خفيضة، وكان ضوء باهت ينير وجه المرأة والرجل. كانا كلاهما مفتح العيون ومستغرقًا فى التفكير. كانت خاتون متمددة على جنب، وقد وضعت يدها تحت رأسها وهى تواجه رجلها . كان مختار ينام متمدداً على ظهره، وقد وضع ساعده على جبينه وقد تمركزت نظرته على عتمة السقف. كان صامتًا وثقيلاً.

قال مختار:

- أفكر فى الذهاب إلى الكويت.

قالت خاتون:

- الكويت؟ الكويت أين؟

فقال مختار:

- الكويت مكان أيضًا .

- هناك، الحدادة كثيرة ؟

- الحدادة لا . ولكن ثمة أعمالاً أخرى. يقولون إنهم يدفعون للآدمى أجرًا جيداً .

- ومن أين تعرف؟

- الجميع يقولون.

- بلاد غريبة ؟

- هناك كثير من الإيرانيين.

- وماذا عنا؟

- أرسل لكم مالاً.

فقالت خاتون:

- لقد قالت أمى إنها ستقول لسيدها كى يفعل لك أمرًا.

قال مختار:

- ليس لى أنف يخضع للخدمة وما شابه. بعد خمس سنوات سأصير عجوزًا. لا يمكن أن أبقى إلى آخر عمرى عاملاً للآخرين. أذهب فلعلى عدت بحفنة مال فأفتح لنفسى كشكًا.

قالت خاتون:

- هنا توجد كل هذه المعامل!

قال مختار:

- أنا حداد من النمط القديم. أنا الآن فى الخامسة والثلاثين، أو الأربعين! فى هذه المعامل، ينبغى أن يكون المرء شابًا، أو خبيراً فى العمل، وإلا لا يعطونه أجرًا معتبراً. ثم حتى قبوله مشكلة بحد ذاته.

فقالت خاتون:

- ماذا نفعل للبيت إذن؟

قال مختار:

- غداً أرفع جداره.

فى الغد كانت خاتون ومختار قد تعاونا وراحا يعمران جدار البيت المتهدم. وكانت بى بى وخاور أيضًا ، فى زاوية الباحة، جالستين فى الشمس وتصنع بى بى بمنديلها الزهرى فأرة لخاور. مسح مختار الطين المتبقى بين أصابعه على شغله وقال لامرأته:

- أعطينى اللبِنة.

وضعت خاتون اللبِنة بين يدى زوجها ، وألصق مختار اللبنة بالشغل وكما لو كان يواصل كلام ليلة أمس قال:

- كان ذلك كله تقصير أمك، وإلا فما حاجتى أنا إلى البيت فى هذه الصحراء الخالية؟ لو أن ذلك المال القليل كان بيدى الآن لأمكننى أن أستفيد منه فى ألف همّ.

قالت خاتون:

- بعه الآن.

فقال مختار:

- من يخلّصنى منه؟ هاتى طيناً .

وضعت خاتون طست الطين بيد مختار وقالت:

- ارهنه.

أفرغ مختار الطين فوق الشغل، سوّاه بالمالج وقال:

– هنا ليس جزءًا من المدينة، ضاحية. هات اللبنة.

رفعت خاتون لبنة عن الأرض كى تسلمها بيد مختار، ولكنها لم تكن أقامت ظهرها بعد حين وقع بصرها على عينى دركى الدورية النيليتين.

كان الدركى واقفًا على الجانب الثانى من الجدار ويبتسم ابتسامة رقيقة:

– قوَاك الله يا أُسطى مختار.

رفع مختار رأسه فرأى الدركى وقال:

– رعاك الله أيها المأمور بَىْ جو. السلام عليكم.

قال دركى الدورية:

– ها أنت ترفع هذه الخرابة عاليًا أخيرًا فتريح بالنا!

قال مختار:

– ما نفعل! لم يكن أتيح لى الوقت قبلاً.

قال دركى الدورية:

– إى صحيح، هذا أيضًا سبب، عمل كثير و...

أنهى دركى الدورية كلامه على عينى خاتون، فخطفت خاتون نظرتها عنه. وقال مختار، الذى كان لايزال مشغولاً بعمله:

- تفضل ادخل، قدح شاى...

فقال دركى الدورية:

- لا.. إن شاء الله فى وقت آخر. إننى ذاهب الآن إلى المخفر.

أمال مختار رأسه ومرّ دركى الدورية من جنب الجدار ومضى. نظر مختار إلى زوجته ثم إلى رواح دركى الدورية ووضع آخر اللبنات على الجدار وتراجع قليلاً كى يروز نتيجة شغله، ولما رأى الجدار مستقيماً جلس عند حافة الحفرة وشابك يديه وألقى برأسه إلى أدنى، وقال:

- هاتى ذاك الإبريق!

استدار النهار، وصل الغد. كان مختار وعائلته واقفين أمام المحطة الصغيرة، عند بقچتهم. كانت بى بى وحدها الجالسة وتدخن چبقًا[٣]. كانوا جميعهم عابسين مشغولى الفكر وتساّقط فوقهم شمس ميتة اللون. كانت خاتون واقفة جنب مختار. وكانت يد خاور فى يد أبيها. لم يكن أحد يتكلم. كما لو لم يكن ثمة كلام يقولونه. كانوا جميعًا يزمون شفاههم ويلزمون الصمت. عندما خرجوا من البيت، لا. قبل تلك اللحظة التى قرروا فيها أن مختاراً سيذهب، كانوا على تلك الحال. كما لو أن شيئًا كالقطن سدّ مجرى حناجرهم. ولكن خاتون لم تستطع أن تتحمل أخيراً. اتجهت إلى مختار وقالت:

- نحن أيضًا نستطيع أن نرسل لك من هنا ورقة[٤]؟

فقال مختار:

– لم لا تستطيعون! هناك أيضًا بلاد لحالها. وأنا سأبعث لك ورقة على عنوان المخفر.

لاح القطار من بعيد. نهضت بى بى عن مكانها. احتضن مختار ابنته، ثم قبَل خد زوجته، ثم رفع بقچته ونظر إلى بى بى وقال:

– الله أولاً، ثم أنت يا بى بى. أستودع عائلتى عندك.

لم تتمكن بى بى أن تتكلم، مسحت دموعها بذيل منديل رأسها ونفضت رماد چبقها. وصل القطار، أقام أمامهم جداراً وغطَّاهم، قلَّت سرعته وهدأ لحظة، ثم تحرك، انطلق وأسرع وخرج من المحطة، كان قد سحب الآن مختاراً إلى بطنه وبقيت عائلته جنب السكة. وراحت تنظر إلى مؤخرة القطار المبتعد. كان سكون بارد قد نشر جناحه فوق رءوسهن. كانت كل منهن قد تيبست فى مكانها. كما لم تكن إحداهن تجرؤ على النظر إلى الأخرى. بقين واقفات هناك لحظة ينظرن إلى مكان ما. وحطمت خاتون أخيراً طبقة الجليد قائلة:

– ماذا نفعل الآن؟

أمسكت بى بى يد خاور، انطلقت من جنب السكة، ولحقت بهما خاتون أيضًا فمضين.

هوامش الفصل - ١ -

(١) قد يكون بى بى اسم علم مؤنثا، وهذا نادر. لكن الأشيع، كما هو مستعمل هنا، أن يستخدم بمعنى المرأة الكبيرة، ويستعمل لفظ خطاب للمرأة الكبيرة، وهو يعنى الجدة أيضاً.

(٢) فى الدور ذات الغرفة الواحدة وفى بعض الحوانيت، يعزل مؤخر الغرفة أو الحانوت فيكون مختلى، أو مخزناً لكل الأثاث الزائد.

(٣) الچبق: بضم الجيم والباء الفارسيين، غليون بدائى، مستقيم، يكون طويل المبسم عادة.

(٤) = رسالة.

- ٢ -

كانت الشاحنة التى وجد مرحب لنفسه مكانًا فوق عضادة الشحن فيها، قد فقدت أحد مصباحيها الأماميين نتيجة العطل، ولم يكن يصدر عن مصباحها الثانى غير أنبوب نور يثقب الليل ويتراجع. وكان مرحب قد دثر نفسه بلباسه الفوقانى وجلس بإحكام بين عضادات الشحن وتشبث بالقضبان على الطرفين. من غيلان[١] إلى العاصمة، كانت هذه هى السيارة الثالثة التى استبدلها. هنا أيضًا لم يكن مقررًا أن يركب فوق عضادة الشحن الأمامية، ولكنه لم يستطع الاحتمال أكثر من بضعة فراسخ فوق الألواح الخشبية فجر نفسه إلى عضادة الشحن واندعك قرب فراش صبى السائق، وتشبث بالقضبان.

وها قد ابتلع، من (منجيل) إلى هنا فوق العضادة، هواء وصار يحس خديه وعينيه تحترق وأذنيه امتلأتا هواء. عند رأس المفرق خارج المدينة، قرب خط السكة الحديد تباطأت دورة الشاحنة حتى توقفت إلى جانب الجادة وصاح صبى السائق، مخرجًا رأسه ونصف كتفه من النافذة :

- اقفز، انزل. القيام بذلك فى المدينة ممنوع!

قال مرحب: على عينى.

وألقى البقچة من فوق العضادة إلى أسفل، وهبط هو على السلم الحديد قرب الحجرة، وفيما هو يلملم ذيل بطانيته أفهم السائق والصبى، بكل فن ولسان يُعرف، أنه ممتن لهما، وعندما انطلقت الشاحنة لوَّح لهما بذراعه من منبت الكتف، ثم تذكر أنه كان بمقدوره أيضًا أن يرفع غطاء رأسه ويلوح به. ولكن مهما يكن، فقد مرّ وانتهى وهو ربما لن يرى هذين الرجلين بعد أبدًا. مثل كثيرين ممن رأى حتى الآن أو مرَّ جنبهم ثم لم يرهم بعد ذلك قط. ولكم هى حاشدة صاخبة الدنيا!

جمع مرحب ذيل البطانية عن الأرض، وألقى به على كتفه، ثم رفع البقچة عن الأرض واحتملها على كتفه واتجه نحو المقهى الصغير جنب الطريق. كان القهوجى يسد الباب عندما وصل مرحب ومد رأسه إلى داخل المقهى فدخل هادئًا ومكث لحظة يتطلع فيما حوله. كان المقهى مكانًا صغيرًا على مصاطبه هنا وهناك ينام بضعة نفر، وكان واحد يتمدد لتوه. ذهب مرحب إلى زاوية وفتح لنفسه مكانًا. اتجه القهوجى نحوه وقال:

– فراش؟

قال مرحب:

– عندى لباس فوقانى.

وضع البقچة تحت رأسه وسحب البطانية فوقه وجمع ساقيه وسحب حرارة المقهى الكثيفة إلى رئتيه وأسلم جسده المتعب للنوم.

- ألا تفكر بالنوم؟ بقامته الربعة جلس من أول الليل فى تلك الزاوية يوالى التدخين!

تابع مرحب مسار نظرة القهوجى وصوته، فرأى شابا ضئيلاً فى زاوية الجدار، يجلس القرفصاء فى مكانه. كان نحيلاً وأصفر، وله وجه طويل. عند كلام القهوجى أدار وجهه نحوه، ألقى نظرته الثقيلة عليه، وقال:

- ما شأنك بى؟ إن كنت تريد أطفئ سراجك.

مد القهوجى يداً إلى أصل مصباحه الزنبورى[٢]، أفرغ هواءه وقال:

- الفاتحة.

ملأت الظلمة المكان، ونامت عينا مرحب فى النقطة الحمراء لسيجارة الشاب.

صباحًا، عند أكل الخبز والشاى، سحب مرحب نفسه إلى قريب من الشاب إياه وسعى أن يفتح معه كلامًا. ينفعه أن يتعرف على أمثاله. إذن، فقبل أن يضع القهوجى صينية الخبز وقدحى الشاى الكبيرين أمامهما، على الطاولة. تكلم مرحب:

- أنت أيضًا غريب؟

- لا.

- لماذا إذن تنام هنا، فى المقهى؟

مكث مرحب برهة ينتظر الجواب. كان واضحًا أن الشاب أكثر مرارة وأقل كلامًا وسمعًا مما ظنه. ومع ذلك، فلم يكن مرحب ليتراجع. قال:

- إننى غريب. ولهذا تصورتك مثلى. الآن، ما اسمك؟

- على.

- إذن لست غريبًا؟

- أنت أيضًا لست غريبًا؛ واضح من طريقة كلامك.

فقال مرحب بابتسامة مستقرة على شفته فى أغلب الأحيان:

- إنك شديد اليقظة. نعم، أنا من هنا. ولكن لأننى كنت فى الخارج منذ زمن طويل... لذلك أظننى غريبًا. يعنى صار لى حال سيئ. أينما أكون أحس حالة لا كأننى غريب، لا لست غريبًا. هكذا.. أرانى هكذا. ثم إن السماء فى كل مكان باللون نفسه.. ولكن على أية حال، هناك لون ولون. مثلاً المكان الذى كنت فيه أمس كانت سماؤه كالمكنسة تصب الماء. مطر بلا انقطاع. على نحو بحيث إنك إذا ما ابتعدت عن السقف تصير كالفأر المنقوع خلال دقيقة واحدة. ولكن هنا مثلاً، ليس هكذا. شكل آخر. صباحه مشمس. ولكنه يلسع. قبل دقيقة فقط عندما خرجت أحرقنى خداى كما عندما ترش ملحًا على جرح.

- أين كنت أمس؟

سأل على مرحبًا. إذن فقد تكلم. قال مرحب:

- كنت فى غيلان. قرب رشت. كنت أشتغل هناك فى إحدى مناشر الخشب. أذهبت إلى هناك فى أى وقت؟

هز على رأسه، وضع القدح الخالى فى الصحن وقال :

- لم أذهب من هنا إلى مسغر آباد[٣]!.. أفكنت هناك فى الصيف أيضًا؟

- نعم.. من أواخره.

- حتى الآن؟

- إى.. ى.. نعم.

- فلماذا جئت إذن؟

- ماذا قلت لك قبل دقيقة؟ هناك تمطر دائمًا. نحن غير المعتادين عليه نصاب بوجع العظام. يتمطى جسدنا على الدوام. تنام مساء وعندما تريد أن تنهض صباحًا تجد فراشك مبللاً. بالضبط كما لو أنك.. بل... لا، لا داعى للكلام.. وبعد هذا، فالإنسان عندما يبقى فى مكان واحد دائمًا يتعب، يتعفن.

قال علىّ:

- يا سيد مشير.. شاى آخر.

قال مرحب:

- اثنان.. أأنت عاطل؟

وسأل على:

- أتبحث عن شغل؟

حرك مرحب طاقيته على رأسه إلى وراء وإلى أمام، وقال:

- إى.. ى، لا، لا، لست محتاجًا إليه بهذا القدر، إننى أفكر الآن أن ألفّ وأتسلى، ولكن حسنًا.. ينبغى أخيرًا أن أتخذ شغلاً. أتخذ. يعنى أجد... فأنا عندى أصدقاء ومعارف كثر. لست كما تظن بلا أحد. ولكن على أى حال.. لا أريد أيضًا أن أريق وجهى أمام من هبّ ودب. فأنت تعرف. إن الإنسان يصير صغيرًا. وإلا فأنا أعرف أناسًا كبارًا أيضًا.. والآن.. الآن ما الذى تشتغله أنت؟

لحس علىٌّ شفتيه، أزاح الخبز الملتصق بلثتيه بأسلة لسانه، وابتلعه، وقال :

- أنا.. أنا.. أنا أيضًا أقوم بعمل ما. فى أحد المعامل.

- مثلاً.. فى أى معمل؟

قعَّر على أيضًا كلامه وقال:

- مثلاً.. صناعة الأنابيب.. مصنع الأنابيب.

- فى أى قسم؟

قال على:

- على المرجل.

- وفى الصيف أيضاً؟

- فى الشتاء والصيف.

قال مرحب:

- عسى ألا تكون صرت من أصحاب النظارات لهذا السبب؟ انمحى نور عينيك؟

- إئ.. ى..

قال مرحب:

- هناك حيث كنت، كنت على ماكينة الخراطة. لا باعتبارى أُسطى، بل مساعد أُسطى. ولكنى لو كنت بقيت فلربما كنت سأصير أُسطى بعد ستة أشهر.. حقا، أيمكن هنا تدبُّر غرفة بقيمة قليلة؟ أيعطون لأمثالنا؟

قال على:

- لا يعطون للأعزب. لا أدرى ماذا يصير.

- لهذا فأنت أيضاً تنام هنا، فى القهوة؟

بقى على ساكتًا برهة، ثم قال:

- لا، ليس من أجل هذا.

نهض، وزرر أزراره وقال:

- سأتأخر. يجب أن أذهب الآن. لابد أن الساعة حوالى السادسة والنصف.

انطلق. ومضى مرحب معه إلى قريب من منصة عمل القهوة، ولم يدع عليًا يدفع ثمن الشاى والخبز. ودَّع على وخرج من الباب. بقى مرحب برهة، ثم خرج من الباب وناداه:

– أخى.. أخى..

توقف على، واستدار نحوه – ولا تزال يداه فى جيبيه وعنقه مخبوءًا حتى الأذنين فى جيبه – وقال:

– ها؟

اقترب منه مرحب وقال:

– أردت أن أسألك شيئًا. نسيت.

– حسنًا. ماذا؟

قال مرحب:

– أردت أن أعرف هل أنت.. تأتى أيضًا إلى هنا مساء؟

قال على:

– ربما.. ربما أجىء.

وانطلق. أوقفه مرحب مرة أخرى:

– شىء آخر.

– ماذا؟

- أردت أن أعرف: أليس فى معملكم قسم نجارة؟

قال على:

- لا أدرى. لا أدرى بالضبط. ولكننى سمعت أن معمل الإطارات يحتاج عمالاً.

لم يبق أكثر من هذا، أدار وجهه، احدودب ومضى. ومكث مرحب لحظات، ثم استدار ومد قدماً إلى المقهى وقال:

- هات شاياً.

هوامش الفصل - ٢ -

(١) محافظة فى شمال إيران، مركزها مدينة (رشت)، تقع على بحر الخزر، أو قزوين.

(٢) مصباح كبير الحجم يُخضع النفط فى داخله إلى ضغط الهواء ثم يشعل، فيكون نوره متوهجًا: الـ (لوكس).

(٣) من ضواحى طهران.

- ٣ -

حقًا، إن الشمس لتنعش الجسد.

أعد مرحب لبقچته مكانًا فى أحد جحور المقهى، دفع ثمن الشاى والخبز وخرج. لبث برهة عند الباب وأسلم نفسه لشمس الشتاء اللذيذة. كان هذا النور وهذه الحرارة وهذا اللون يذيب كل إبهامٍ وتضببِ خاطره - الأمر الذى كان جلبه معه من غــابات الشمال المضبَّبة الرطبة - ويحيله ماء فيكنسه ويذهب به بعيداً. لقد كان هنا إقليم الرِّى(١).

أدخل مرحب رأسه إلى المقهى وسأل القهوجى:

- أصحيح أن معمل المطاط يستخدم عمالاً؟

قال القهوجى:

- أنا أيضاً سمعت. لا أدرى بالضبط.

- من أين طريقه؟

- الجهة اليمنى. باتجاه كرج(٢).

قال مرحب:

- احجز لى الليلة تلك المصطبة، قرب محل شغلك. كان مكان ليلة أمس باردًا نوعًا ما. وانتبه إلى هذه البقچة أيضًا، فى داخلها لباسى وأشيائى وبطانية.

فقال مشير، على نحو ممطوط وبنفاد صبر:

- هنا أمان، اذهب مطمئنًا.

ذهب مرحب باتجاه الطريق، مدَ الخطا هناك بمحاذاة السكة الحديد، على كتف الطريق، موليًا ظهره للشمس التى كانت تشع على كتفه، ومشى. كان سفع يأتى والأرض تحت قدمه يابسة. كما لو تجمدت مساء أمس. رفع ياقة جاكتته، وسحب طاقيته الصوف - كان قد حصل عليها هناك من صبى سائق من أهل سَنْغسَر[٣] لقاء سكين ذات ضامن - إلى أذنيه. حشر يديه فى جيبيه وسعى إلى أن يمد خطاه أسرع وأطول. كان الطريق خاليًا، وتمر سيارة أحيانًا، تتجاوزه وتترك له دخانها، على الطريق، وتذهب. لم يكن قد أتم حيطان الثلاجة[٤] العالية عندما بلغته عربة. كان حصان مصاب باللقوة يجر وراءه عربة، ورجل عجوز لف نفسه فى كيس جنفاص وقرفص على العربة. أسرع مرحب خطاه وأوصل نفسه، جريًا تقريبًا، إلى العربة وسأل الشيخ بصوت مرتفع عن عنوان معمل المطاط. أدار الشيخ عنقه ونظر إلى مرحب. لم يرَ مرحب من وجهه أكثر من عينين وقبضة لحية وشارب وحاجبين رماديين، لأن الشيخ كان قد لفّ كل رأسه وأذنيه وعنقه وذقنه فى شال. وكان ظاهر شاربيه مبتلاً من ماء أنفه، وينفث فمه - إذ يفتحه للكلام - بخارًا كحلقة دخان، من بين شفتيه. أدرك مرحب أن الشيخ لم يسمع كلامه.

ولا يمكن أن يكون سمعه. فوقع حوافر الحصان، وصليل طوقه وأجراس زينته، وطقطقة عجلات العربة على المطبات، لم تكن تبقى مجالاً لسماع أصوات أخرى أمام أذنيه المغلقتين والملفوفتين بالشال. ولذا قال مرحب بصوت أعلى من السابق:

– معمل المطاط. قلت أين معمل المطاط هذا؟

هز الشيخ لجام حصانه أشد، وأوقف الحيوان وقال:

– ما أدراني يا عم؟ من هنا إلى آخر شَهريَار[٥] معامل. ما أدراني؟

لم يعاود مرحب الكلام، تراجع، قفز ساكنًا إلى مؤخر العربة، أمسك بيده موقعًا ما وسحب نفسه إلى أعلى حتى جلس، ظهراً لظهر العجوز، على حافة منتهى العربة. كان مرحب يحس أن الشيخ كان أكثر انشغالاً بنفسه من أن يفكر في أن ينظر وراءه. ولهذا رافقه مكتوماً وبلا صوت، وبدون أن يحس العربجي وجوده. اجتازا مركز الشرطة، وخلّفا معمل الفخار أيضًا وراءهما ، ولم يكن الشيخ قد انتبه بعد إلى أن أحداً قد ركب على عربته. أو أن مرحبًا كان يظن ذلك. لأنه عندما وقع بصر الشيخ على حشد تجمع أمام بوابة المعمل، استدار نحو مرحب وقال :

– ربما كان هذا. انزل، مع السلامة!

ألقى مرحب، مفاجئًا، نفسه إلى أسفل. نظر إليه الشيخ مائلاً، ألقى نحوه ابتسامة واسعة وقال:

– شاطر جدا! أتصير أنت في هذا العصر والزمان شيئًا؟

خرس مرحب برهة. لم يستطع أن ينبس حرفًا. نظر إلى طقطقة العربة وهى تمضى وإلى الشيخ المحدودب حتى ابتعدا واختفيا عن النظر فى حمى مرتفع. ثم انطلق نحو الحشد الواقف أمام المعمل واختلط به. كان فيه جميع أصناف البشر. شيخ، شاب، متوسط عمر، وحتى صغار السن. كانوا جميعًا قد وجهوا صدورهم نحو الشمس، أو وضعوا أيديهم تحت آباطهم واحدودبوا وراحوا يتململون على أقدامهم. مهما يكن، فلم يكونوا هادئين. كانوا يحسون بردًا شديدًا وكانوا قلقين. قلقين مما سيحدث أخيرًا! لابد أن كل واحد كان يسأل نفسه مناجيًا: "أيختاروننى؟" وكان كل واحد - حتمًا - يقول لنفسه: "أنا أصلب جسدًا من هذا الذى إلى جانبى، الذى انطوى على نفسه واقفًا. تقول لا؟ أنا حاضر لمنازلته فى المصارعة!". وآخر كان - لابد - يقول لنفسه: "انظر إلى ذلك الغول، يتصور أن الهيكل الضخم ينجز عملاً أكثر! لا يدرى أن العمل ليس بالفظاظة. يجب أن يكون للعامل استعداد، لا ضخامة عنق! ولكن ليجعل الله من يختار يعرف هذا الأمر. ولكن من يعرف من؟ الجميع عقولهم فى عيونهم. كائنًا من كان، عندما ينظر إلى قامتى القصيرة وعنقى النحيل يصرفنى فورًا". ويفكر آخر مع نفسه: "كيف يمكن إفهامهم أن المرء كلما تقدم فى السن ينطبخ أكثر ويكون أكثر مهارة؟!". وقال شاب، ذاك الذى كان له كتفان بارزتان، وعنق غليظ وعينان مستديرتان بنّيتا اللون، بصوت عال ناطقًا بما كان يفكر فيه:

- ينتخبون الشباب فقط، من الثلاثين فأدنى. والوزن والقوة البدنية أيضًا شرط. ليقل كلٌّ ما يريد. أنا أعرف مسبقًا.

- فى صف. قفوا فى صف. هيا فى صف.

خرج حارسٌ أمامَ بابِ المعمل، ذو شاربين كثين ورماديين كانا يملآن أعلى شفته، وأخرج - فيما هو يمضع بقية لقمة خبزه - صوته الجهير الرنان من صدره:

- ها، بارك الله فيكم. اصطفاف. جنب الحائط. الآن يأتى. أتى. ها هو.

تابعت كل الأنظار نظرة الحارس واستقرت هناك، على جبين ونظارة رجل نحيف طويل نزل من السيارة. صفق الرجل باب سيارته ورأساً، وهو يتجه إلى الناس، استعرض صفهم ثم ذهب نحو الباب وقال للحارس الذى كان قد أحنى كتفيه وعنقه تحية:

- مرِّرْهم أربعة أربعة إلى الداخل، أربعة أربعة.

فتح الحارس باب الأفراد، أمسك مقبضه وقال:

- بهدوء وبلا ضجة، أربعة أربعة، من هاهنا. لا تتلبكوا. الدور يصل الجميع. تعالوا أنتم الأربعة أولاً. أنت واحد، أنت اثنان، أنت ثلاثة، أنت أربعة.

انبلع أول أربعة أفراد إلى الباب. وسحب الأربعة التالون أنفسهم إلى أمام، قرب صدر الحارس. وضع الحارس كلتا يديه على صدر شاب أوشك أن يلتصق به، فدفعه إلى وراء وقال:

- قف كالأوادم. أفلم أقل بلا ضجة؟ كل من أصدر ضجة لا أفسح له مجالاً. جيد؟

التفت شاب، كان شعر سبط أسود طويل يغطى أذنيه، إلى الذين وراءه وصاح:

- بابا لا تدفعوا! كما لو كانوا يوزعون حساء نذر!

كان مرحب قد حشر نفسه جنب ذاك الذى قال "ينتخبون الشبان فقط"، ووقف ساكنًا يعد الذين أمامه أربعة أربعة. إذا لم يكن قد أخطأ، فإنه سيدخل ضمن الأربعة الرابعة. بمعية ذاك الذى قال «أنا أعرف مسبقًا». حسنًا، لن يستغرق ذلك طويلاً. ولقد بذل فطنة فائقة حتى تمكن من أن يجعل نفسه ضمن أول عشرين شخص. لو أنه كان قد غفل قليلاً، فربما صار النفر المائة والخمسين.

خرج الأشخاص الأربعة الأوَل، وغاص الأشخاص الأربعة التالون، وخرج هؤلاء أيضًا، فالمجموعة التالية، والمجموعة التى تليها، وهاهى نوبة الأربعة التالين الذين من بينهم مرحب. شاب صغير السن، رجل متوسط العمر، وشاب عنقه شديد مستقيم وعيناه بنيتان مستديرتان وكان قائل "أنا أعرف مسبقًا". حتى الآن، كان مرحب قد أمعن النظر قليلاً أو كثيرًا فى الوجوه التى كانت تخرج من الباب، ومن بين الستة عشر شخصًا الذين خرجوا من الباب كان اثنان لهما عيون راضية وشفاه محكمة. أما الآخرون فخرجوا بآذان مدلاة[٦] وجباه مقطبة وقد أخذوا دربهم وانصرفوا. وفى هذه المعمعة كان أحدهم قد [تلفَّظ بسبابٍ قبيح]. الآن جاء دور الأربعة التالين.

قال الحارس:

- أنت.. واحد أنت، اثنان أنت، ثلاثة أنت، الرابع أنت.

ضرب بيده كتف مرحب ودفعه إلى الداخل ثم أغلق الباب وراءه.
كان شخص يقف أمام المكتب يدل الداخلين:

- من هذه الجهة.

دخل مرحب والثلاثة الآخرون إلى المكتب. كان شخصان يجلسان وراء منضدتين. واحد هو الذى جاء قبل هنيهة. والآخر رجل له شفتان ضخمتان حمراوان، وقد تساقط شعر مؤخر رأسه وله أذن واحدة لا غير. وقف الشخصان الأماميان أمام منضدة، ومرحب والرجل متوسط العمر أمام المنضدة الأخرى. قال الرجل واحد الأذن:

- اسمك؟

- مرحب. محمد مرحب. ينادوننى مرحب. أستطيع أن أؤدى جميع أنواع الأعمال.

رفع الرجل رأسه، سمّر فيه عينيه سيئّتى اللون وسأل متعجباً:

- مرحب؟!

- تقريباً يا سيد. كما أننى أعرف فى أكثر الأشغال.

- السن؟

- أربع - خمس وعشرون.

- أربع وعشرون أم خمس وعشرون؟

- أربع وعشرون ونصف.

- قراءة وكتابة؟

- إىْ.. ىْ..

- مُعفىً أم ورقة[٧]..

- خدمت.

- اذهب فوق القبّان.

ذهب مرحب إلى فوق القبان، وفيما هو يضغط أخمص قدمه على القبان قال:

- وحتى أربع عشرة ساعة فى اليوم أيضًا أشتغل كما لو شربة ماء.

انحنى الرجل قليلاً من فوق المنضدة، حدق إلى صفحة القبان ثم نظر إلى مرحب.

قال مرحب:

- كيف هو؟

- قليل.

- قليل؟ من أى وزن تريدون؟

- الحد الأدنى سبعون. الشغل بدنى.

- حسنًا ليكن شغلاً بدنيًّا؟ أفهو مسألة جديدة يا سيد؟ كنت أدرى أنه شغل بدنى وجئت. شغلى أصلاً بدنى.

- وزنك قليل يا عزيزى.

- الوزن يا روحى؟ أنا وزنى..

سمَّر الرجل عينيه فى عينى مرحب وقال:

- إلى الخارج يا عزيزى، عندنا شغل آخر أيضًا.

لم ينبس مرحب بحرف آخر بعد، خرج من الباب ووقف لصق الصف. قال له الحارس:

- لا شغل عندك فوقفت؟ هيا اذهب!

نظر إليه مرحب. سأل واحد من الصف:

- ماذا جرى؟

نظر إليه مرحب صامتًا. وقال آخر:

- واضح أنه منزعج جداً!

نظر إليه مرحب. قال آخر:

- محبط؟!

استدار مرحب نحوه. وقال آخر:

- لا شىء. فى بعض الأحيان يكون حظ المرء سيئًا.

خرج الشاب ذو العينين البنيتين المستديرتين من الباب. كان عنقه أشد من السابق. نظر إليه مرحب دون الانتباه إلى ما كان هذا وذاك يقولون. راز الشابُ الصفَ بابتسامة رقيقة مغرورة، ثم مضى لطيّته. واقتفى مرحب أيضًا، هادئًا رقيقًا، خطاه، ومضى. سار برهة قدمًا لقدم مع ظله ثم قال:

- أخى.

استدار. قال مرحب:

- اعذرنى. أردت أن أسأل شيئًا.

- كلى آذان.

قال مرحب:

- أنت قُبلت، أم لا؟

- إىْ.. ىْ.. أظن.

- أردت أن أسأل، كم وزنك؟

أضاءت بسمةٌ تحت شفتى الشاب عينيه البنيتين، وقال:

- أربعة - خمسة فوق السبعين.

- ها!

قال مرحب هذا وسحب خطوه.

كانت الشمس قد انتشرت فى كل مكان، أعاد مرحب ياقة جاكتته إلى وضعها العادى ورفع حافة طاقيته عن أذنيه.

هوامش الفصل - ٣ -

(١) فى الأصل قرية، أو بلدة، جنوب شرقى طهران، أطلق على الولاية الوسطى من بلاد فارس بعد الفتح الإسلامى. يروى أن عبيد الله بن زياد أغرى عمر بن سعد بقيادة المعركة ضد الحسين، فى واقعة كربلاء، مؤملاً إياه بولاية الرى.

هل يشير الكاتب إلى ذلك هنا، أم أنه يريد أن يقول، ببساطة، هنا طهران؟

(٢) كرج: بفتح الكاف والراء، قضاء على بعد نحو أربعين كيلومتراً من طهران، إلى الشمال الغربى.

(٣) من مدن الشمال.

(٤) حفرة كبيرة، أو مغارة فى الأرض، كان يجمع إليها جليد الشتاء ويخزن للاستفادة منه ثلجاً، فى الصيف.

(٥) ضاحية بين طهران وكرج.

(٦) كناية عن الإخفاق.

(٧) السؤال عن الخدمة العسكرية، والورقة المقصودة هى ورقة (كتاب رسمى) بإنهاء الخدمة.

- ٤ -

خرجت خاتون فى الليل، نحيلة ممشوقة، مثل شبح، من تحت جسر سكة القطار، ومضت على الطريق الضيق نحو بيتها، فتحت الباب بهدوء وضاعت فى الدهليز. كانت أمها بى بى وابنتها خاور صاحيتين بعد. بقيتا حتى تأتى فيعرفا ما فعلت. دفأت بى بى، على أى نحو كان، «الكرسى»[١]، وطبخت حساء. فكَّت خاتون الشادر[٢] عن رأسها، ألقته على الحبل وذهبت بلا كلام فجلست عند «الكرسى». لم تقل لها أمها شيئًا. كانت تريد أن تشرع خاتون نفسها بالكلام. وكانت خاور أيضًا ساكتة تشرب شايها. صبت بى بى قدح شاى لخاتون أيضًا. كانت خاتون قد غاصت إلى كتفيها تحت لحاف «الكرسى» وألصقت وجهها باللحاف وبقيت عيناها مثبتتين فى نقطة. دفعت أمها الشاى نحوها، وبعد لحظة قالت:

- ماذا فعلت؟ رأيتِه؟

- هـ .. و.. م، رأيته.

- حسنًا، ماذا قال؟

– ماذا يريد أن يقول؟ هذا الأُسطى صفى ليس أُسطى صفى بعد. تكلم معى كما الغرباء بشكل جمّدنى. كما لو أنه لا يعرفنى. ثم إنه مجرد شريك فى محل أخيه. قال إن ما يستطيع أن يفعله هو أن يرفع عنا شيئًا، إذا كان عندنا، بقيمته. ولكن أى شىء؟ ما عندنا مما يمكن أن يسهل تحويله إلى نقد؟

قالت بى بى:

– تفُ على قبر أب كل إنسان عديم الحياء! كان يجب أن تقولى إننا لا نعرف أحداً غيرك!

– أفلم أقل؟

– طيب، وماذا قال؟

– قال: تلك السجادة التى جلبتها أنا لمختار بالأقساط، هاتيها متى ما أردتِ كى أبيعها نقداً.

– وماذا قلتِ أنت؟

– قلت حسنًا. إذا أردتُ أن أبيعها سأخبرك.

– لم تذهبى للمخفر؟

– لماذا لا!؟ ولكن لم يأت منه ورقة أو شىء بعد. وذهبت عند صاحبه ذاك الحداد أيضًا. ما كان اسمه! صادق. صادق شرمو[٣]. ولكن ذلك أيضًا لم يكن موجوداً.

- لم يكن موجوداً؟ أين ذهب هذا أيضاً؟

- قالوا أخذوه للجندية.

قالت خاور:

- ماما. هل أخذوا أبى أيضاً للجندية؟

نظرت خاتون إلى عينى ابنتها وقالت:

- لا، ماما. ذاك سافر هو بنفسه.

قالت خاور:

- لو حزرت منذ كم يوم؟

- ما أدرانى بيومه، ماما!

قفزت خاور إلى خارج "الكرسى"، ذهبت إلى الجدار، هناك حيث وضعت دُماها، وعدت الخطوط فوق الحائط وقالت:

- مائة و.. مائة و.. تسعة عشر يوماً. غداً.. غداً يصير مائة وعشرين يوماً.

قالت خاتون:

- نعم عزيزتى. عندما ذهب كان الوقت خريفاً. تعالى اقعدى.

قالت خاور:

- سأخط خط غد الآن أيضاً.

- خطى.

تناولت خاور المسمار ومدت خطًّا آخر قرب خطوطها وقالت:

- صار مائة وعشرين.

قالت بى بى لابنتها:

- أتتعشين؟

فقالت خاتون:

- أنا لا شهية عندى. كلى أنت.

نهضت بى بى كى تجلب الخبز والسفرة.

وقالت لنفسها:

- لو أنه كان بقى هنا، لكان سيدى ثبت يده فى مكان ما. حارس مصرف، أو فراش مدرسة، أو قهوجيًا فى إدارة ما. ما كان رزقه لينقطع، على كل حال. والآن ربما استطاع أن يفعل فى حقك شيئًا. عندما أذهب غداً سأقول له. إذا وجدته يلقى كلامى ظهريًّا أحدث عنك ابنه.

- ومن يكون هذا؟

- ابنه. إنسان بلا ادعاء أو تفاخر. أصلاً لا يشبه السادة. رأسه فى جيبه.

قالت خاتون:

- هيّئى أنت الآن العشاء وأعطيه للطفلة لتأكل فهى جائعة، وفيما بعد. أنا لا أستطيع أن أفعل أى شىء كان. ليست عندى إجازة منه.

جلبت بى بى الخبز والسفرة وقالت:

- لو كان مهتما بشأنك كثيراً، كان يجب أن يرسل لك حتى الآن ما لا يقل عن مائتى تومان(٤).

حمل حديثٌ فى الخارج بى بى على الصمت. كان الصوت يأتى من حمى جدار البيت:

- قلت لك قف!

- طيب، ها قد وقفت. تفضل!

- فى هذا الوقت من الليل، ماذا تفعل حول بيوت الناس؟

- ماذا أفعل؟ أفلا ترى ما أفعل؟

سمعت خاتون صوت دركى الدورية. نهضت ونظرت من خلف النافذة إلى الخارج. كان الدركى قد ألقى ضوء مصباحه اليدوى على وجه مرحب، وكان يستنطقه:

- قلت ماذا تفعل؟

- أنا ذاهب من هذه الجهة. ما شأنى ببيوت الناس؟

- حسناً جداً. فاذهب إذن.

- هاك، ذهبت.

- ولا تظهر بعد هذا فى هذه الأنحاء.

نظر إليه مرحب، دون جواب، من فوق كتفه، وذهب، وأسدلت خاتون الستارة وجلست عند "الكرسى". جلبت بى بى القدر فوضعته فوق «الكرسى» وقالت:

- من كانوا؟

- شُبيِّبٌ ما والدركى.

- ما كان شغله؟

- لم أفهم. وما شأنى بما كان شغله؟ وهذا الدركى أيضًا لا يريد إلا أن يظهر لنا أنه مهتم بأمرنا!

ذهبت بى بى إلى عند النافذة، سحبت نفسها إلى فوق ونظرت إلى الخارج. كان الليل قد ملأ الأنحاء جميعًا. التفتت وقالت:

- عيناى لا تريان أحدًا. أظنهم راحوا؛ أرأيت أنت هذا الشُبيِّب مرة أخرى فى هذه الأنحاء؟

قالت خاتون:

- رأيته مرة أو اثنتين عند الخط.

نظرت إليها بى بى ولم تقل شيئًا.

تصور مرحب أنه لابد أن يكون هو نفسه عليٌّ. كان جالسًا على انحدار خط السكة ويرمى الحصى إلى أسفل. ذهب نحوه ووقف قريبًا منه.

- ماذا تفعل هنا فى هذا الوقت من الليل؟

رفع على رأسه، خلع نظارته، خاط عينه به وقال:

- أنت ماذا تفعل هنا؟ تطارد تلك السمراء؟

فقال مرحب:

- ماذا تتصور إذن؟ مرة أخرى لزمك الأرق؟ هذه هى المسألة، إنك لا تنام مرتاحًا ثم تقف نهارًا عند المرجل غافيًا. وإننى لأخشى أن تقع أخيرًا فيه وتذوب!

كانت الكلفة قد ارتفعت بينهما. كان على قد تدبر فى قسم النجارة بمعمله شغلاً لمرحب، فيما كان مرحب يسحبه خارج قوقعته الجافة والمعتمة. كانا قد قالا أيضًا الكثير من أشيائهما الخاصة وخططا أن يستأجرا، أخيرًا ذات يوم، معًا، غرفة نظيفة، فى الطابق الأعلى من بيت، تكون أمامها شرفة. كانا يفكران فى أن يشربا أخيرًا، ذات ليلة، عرقًا، معًا وأن يأخذ مرحب عليًا معه إلى القلعة[٥]. كانا يفكران أن يذهبا، عندما يأتى الصيف، فى أيام الجمعة، مهما كلف الأمر إلى فرحزاد أو غُلاب دَرَّه[٦]. وكان مرحب قد قطع عهدًا أخر أيضًا لعلى: أنه سيشترى دراجة هوائية وسيركبانها معًا. ولكنهما لم يتمكنا بعد من تحقيق أى من العهود التى قطعها أحدهما للآخر. كان مرحب قد أخذ عليًا معه مرة إلى عند النساء، ولكن عليًا لم يجرؤ أن يذهب، أمام كل تلك العيون، إلى غرفة فيقترب من امرأة. وهكذا فقد طأطأ رأسه وخرج من الباب فوعد مرحب بأن يسكرا هذه المرة، قبل أن يمدا رجلاً إلى هناك. ولم يكن على قد قال شيئًا.

جلس مرحب، تحت قدم على، على انحدار الخط، وقال:

– حقًا، لماذا لم تنم؟

– لا يمكن النوم! لا يواتيني النوم. سعاله لا يدعني أنام. يسعل دائمًا. يسعل إلى حد أنه ينسل قلب الآدمى. مهما يكن فهو أب الآدمى على كل حال. وخالتى أيضًا ليس عندها غير البذاءات. لا أدرى أى جرم ارتكبت عند أعتاب الله؟!

قال مرحب:

– يحسن أن يموت أمثال هؤلاء الآباء والأمهات أيضًا قبل الخمسين. يرتاحون هم، ويرتاح الآخرون منهم أيضًا. أعطنى تلك الكبريتة.

أعطى على علبة كبريته لمرحب وقال:

– أنا أيضًا عندما أفكر فى أننى مضطر للوقوف طوال عمرى جنب ذلك المرجل ويدخل البخار، الذى درجة حرارته كم مائة درجة، عينى، يكاد يصيبنى الجنون من التفكير فيه.

– إذن لا تقف. إذا ما أردت أن تحمل همَّ كل شىء يجب أن تذهب بعد أربع سنوات إلى تحت التراب. إن تحمُّل الغصة لا يداوى مرضًا. أيداوى؟ كل ما هنالك أنه يزيد دوخة الإنسان. فى أى وقت تجد فؤادك منقبضًا. اترك، مثلى تمامًا، اشطب على كل شىء.

– لكنك مجرد نفر واحد وحيد. ولكن حسابى شكل آخر.

قال مرحب:

- كان حسابى أسوأ من حسابك. ولكننى تجاوزته. سقطت أمى عن سيارة دخان[٧] الشاه عبد العظيم[٨] فانهرست تحت عجلاتها. يعنى أنها أرادت أن تذهب للزيارة مجانًا! وبعد ذلك ضاع أبى أيضًا. لم يبق إلا أنا وظلى. ماذا! تظننى فعلت؟ جلست فاحتضنت ركبتىّ ورحت أولول؟ هه! لا. انطلقت. وأنت ترانى الآن هنا. مرة أخرى متى ما أحببت أنفلت.

قال على:

- حقا، ما الذى تفعله بحيث تستطيع أن تكون مسروراً؟

ضحك مرحب، سحب نفَسًا شديداً من سيجارته، أعاد كبريت على وقال:

- أخرج أولاً رأسك من بين كتفيك هاتين كى أقول لك. قم. قم الآن نذهب إلى البرنامج.

- أى برنامج؟

هوى مرحب بقبضته، أمسك ساعد رفيقه، سحبه وأنهضه عن مكانه، حمله على الركض مع السكة وقال:

- نفقته علىّ. نشرب عرقًا، ثم إن أحببت نذهب هناك.

فأرخى على قدميه وقال:

- لا. لا. لا أروح هناك.

- طيب طيب. لا نذهب هناك.. ولكن قل لى.. أتعرف دركى الدورية هذا؟

- لماذا؟ أتصدى لك؟

- إىْ.. ى.

وقفا عند أول الطريق. كانت سيارة، ينير أحد مصباحيها الأماميين فقط، قادمة من بعيد. رفع مرحب أمامها يداً وقال:

- أتقول إنه سيسمح لنا بالركوب؟

جاءت السيارة ومرتِ. خفض مرحب يده وطيّر شتيمة. قال على:

- أظن رئيس قسم التجارة لا يهواك.

- لماذا؟ أفنمت جنب أمه؟

- أظنه لا يرتاح لعنادك. يقولون إنك وقفت بوجهه.

- طبعاً أقف، ماذا إذن؟ إن لم يحب فليشرب شاياً حامضاً. وحياة أخى إننى لأنوى أن أستخرج النقد من قلب الصخر، دعنى الآن أشترى الدراجة.

قال على:

- جاءت سيارة.

هوامش الفصل - ٤ -

(١) وسيلة التدفئة الإيرانية التقليدية، وهى عبارة عن مصدر حرارة، يغطى ببطانية أو لحاف كبيرين، يحفظان الحرارة داخلهما، يتربع الأفراد تحتهما جلوسًا، أو يتمددان أثناء النهار، وينامون تحتهما ليلاً.

(٢) غطاء الرأس التقليدى الإيرانى، كالعباءة.

(٣) = الخجول.

(٤) وحدة العملة الرئيسية فى العهد القاجارى (إلى سنة ١٩٢٥). ألغيت ولكن اسمها يطلق حتى اليوم على فئة العشرة ريالات. كانت الخمسة منها تساوى، فى أيام أحداث الرواية، دولارًا واحدًا.

(٥) المبغى العمومى.

(٦) من المصانف القريبة من طهران.

(٧) الاسم الذى أُطلق على القطار أول دخوله إيران، وبقى يطلق أمدًا طويلاً.

(٨) شريف حسنى كان معاصرًا للإمام العاشر عند الشيعة الإمامية. مرقده فى مدينة رى الحالية، التى هى الآن مجرد ضاحية جنوبى طهران، وتسميها العامة باسمه.

- ٥ -

كانت الشمس لاتزال موجودة، ولكنها كانت تجر نفسها قليلاً قليلاً إلى أصل الجدار وتلملم أشياءها كى تصعد الجدار فتلقى نفسها إلى الطرف الآخر، فوق الأرض المنبسطة. كانت كما لو أنها تهرب متلصصة من بيت مختار، بيت مختار الخالى. كانت بُنيَّته فقط، خاور، جالسة فى الشمس تلعب بالجرذان التى صنعتها لها بى بى من الخرق، وضائعة فى دنياها الصغيرة ولم يكن لرأسها أن يفكر فى أن أحداً، خارج البيت، عند الحائط، عند ثقب مجرى الماء، كان يتمدد على صدره وينظر إليها بعينيه المضطربتين. من كان؟ عندما انتبهت حواس خاور إلى صفير يأتى من مجرى الماء، التفتت نحو ذلك الجانب ونظرت. كان مرحبًا. هناك، وراء الجدار كان يتمدد على بطنه وقد أقرَّ وجهه فى إطار الفتحة ويواصل النظر إلى البُنيَّة.

- شوت.. شوت.. ماذا تصنعين؟

أجابت خاور:

- أخيط لحافًا لدميتى.

- هاتيه أره.

- لا أعطيه، أتريد أن تسرقه؟

- لا.. لماذا أسرقه. حقا، من فى بيتكم؟

- لا أحد، خرجت أمى. وبى بى أيضاً فى بيت سيدها تعمل.

- ليلاً أيضاً أنت وأمك وحدكما؟

- لا، كلبنا أيضاً موجود.

- أتحبين أن تركبى الدراجة؟

صوّت مرحب جرس دراجته. قفزت خاور من مكانها، مضت نحو ثقب مجرى الماء وقالت:

- نعم، أين؟

مكث مرحب لحظة، ثم قال:

- ليس الآن، فى يوم آخر.. تعالى الآن خذى هذا القماش اصنعى لدميتك شادر ليل(١).

جعل منديله الحرير كرة وألقى به من الفتحة، والتقطت خاور من جانبها المنديل ونظرت إليه بسرور فائض ثم سألت:

- من أنت؟

لم يكن لدى مرحب جواب يعطيه. فقال مضطراً:

- أنا.. عمك. الآن.. الآن أنا ذاهب. فى أمان الله.

- فى أمان الله.

كانت الشمس قد غربت. نهض مرحب، نفض غبار ملابسه، أمسك مقود دراجته. رفعها عن الأرض وانطلق نحو خط السكة الحديد. كانت بى بى وابنتها قادمتين من مُقابله. مكث مرحب برهة، أجرى نظرة على عين خاتون ووجهها، واجتازهما ثم وقف بعد بضع خطوات من الجانب الآخر يتطلع إلى رواح الأم وابنتها. ابتعدتا عنه، قربتا رأسيهما من بعض وتهامستا:

- تعرفينه؟

- لا. فقط رأيته فى هذه الأنحاء بضع مرات.

فاستأنفت بى بى كلامها السابق:

- عديم الأذى جداً. كانت عنده امرأة تطلقت منه، وهى الآن تغنى فى الكازينوهات التى فوق. كانت الوقحة لعوياً ولم تستطع أن تحتفظ لنفسها بإنسان بمثل هذا الانقياد. أنت لا تعرفين أى إنسان لطيف هو! ما من أسبوع أذهب فيه من هنا ولا يسأل عن حالك. يسأل على نحو كما لو كنت من أقربائه.

قالت خاتون:

- بعض الناس محبون للخير. ليطل الله عمره.

- ولا يكف عن طلب عنوان هذا المكان منى.

- عنوان هنا؟

كانتا قد وصلتا باب البيت. أدخلت خاتون المفتاح، فتحت الباب ومدت كلتاهما رجليهما فى المجاز. وألقت خاتون، دون أن تريد أو تدرى، نظرة متلصصة على الطريق الذى قدمتا منه فرأت ذلك الشُبيِّب إياه، الذى كان واقفًا مع دراجته بين سكتى الخط الحديد ينظر إلى البيت. أغلقت خاتون الباب وذهبت إلى الغرفة. قبَّلت الأم خاور وذهبت أولاً إلى الباحة. ركضت خاور وأرت المنديل الحرير لأمها وقالت إن شخصًا جاء وقال أنا عمك وأعطانى المنديل وراح. قالت خاور:

– وعنده دراجة أيضًا.

عضت خاتون شفتها، وقالت:

– حسنًا، يكفى. لا حاجة إلى تغريدك. اذهبى انظرى ما جلبت لك بى بى. ليس هذا المنديل بشىء.

ركضت خاور نحو بى بى التى كانت قادمة وقالت:

– هاك، اصنعى لى بهذا المنديل[٢] فأرًا ضخمًا.

أخذت بى بى المنديل منها، مدت قدمًا إلى الغرفة وقالت لخاتون:

– أخيرًا سأجلبه أنا نفسى ذات يوم إلى هنا. أو ذات ليلة.

– تجلبينه هنا؟ يعنى.. يعنى أن..

أخرجت بى بى تصويرًا من كيس نقودها، أرته لخاتون وقالت:

– ألقى نظرة على هذا التصوير. كل ما هنالك أن شفتيه أكثر زرقة[٣] مما هما هنا. وهذا أيضًا لأنه يأخذ أحيانًا نفَسى دخان.

تركت خاتون التصوير فى يد أمها وقالت:

- ما الذى تدبرينه لنفسك؟ أرأسك خالٍ؟ إن لى زوجًا، أنا لست امرأة غير نجيبة!

اغتاظت بى بى، جلست فى زاوية وقالت:

- لى زوج، لى زوج! لو كان ذلك الزوج حقيقيا ومضبوطًا، لأرسل لك فى الأقل أربع كلمات دعاء وسلام يابسة خالية. لا أن يذهب ولا ينظر خلفه! وعدا عن هذا، أفيريد هذا أن يجيء فيأكلك لتقولى إن لك زوجًا؟ لك زوج، فليكن لك! هذا يريد أن يدعمك، لا يريد أن.. ماذا يقول الإنسان؟ من أين تعرفين أصلاً أن زوجك ذاك سيعود من تلك البلاد؟

جلست خاتون على الصندوق، وقالت بغصة:

- لماذا تفكرين بالسوء دائمًا أساسًا؟ أفلا يمكن أن يكون الأمر غير هذا أيضًا؟ أفلا يمكن أنه لم تتح له فرصة كتابة ورقة وأنه سيعود بعد مدة إلى هنا ملىء اليد؟ لماذا تجلبين دائمًا وجه الأمور السيئ أمام عينك؟

قالت بى بى:

- أتعرفين كم مضى الآن على ذهابه؟

اقتربت خاور من الجدار وقالت:

- أنا أعرف، أعرف، الآن مرّ مائتان وأربعة عشر يومًا على ذهابه.

قالت بى بى:

- هاك! الشهر الثامن. ثمانية أشهر. فكرى أنت فى الأمر جيداً.

قُرع الباب. فصاحت خاتون ممتلئة غيظًا:

- من فى هذا الوقت من الليل؟

- أنا، افتحى.

- أنا لا أفتح بابى ليلاً أمام أحد رجلنا. ليس فى البيت.

- أنا، جلبت خبراً من رجلك. من الأُسطى مختار.

عرفت خاتون صوت الدركى. لابد أنه جاء من المخفر. وضعت شادرها على رأسها، ركضت وقالت لنفسها: «أى خبر؟ مختار؟ أى خبر؟». فتحت الباب للدركى، دخل الرجل، اجتاز كتف خاتون، جاء إلى الغرفة وجلس على حافة الصندوق وألقى نظرته إلى تحت، على الأرض. سألت خاتون ثانية:

- أى خبر؟ ورقة؟

- وخبر ليس بالغ السعادة أيضًا.

- ماذا؟ ها؟

أدار الدركى الكلام فى شفتيه وفمه وقال أخيراً:

- عسى ألا تصير من قسمة أحد أن يعطى مثل هذه الأخبار لأحد.. لا أدرى.. هذه الرسالة أظن شخصًا آخر كتبها وأرسلها بعنوان المخفر..

أخذت خاتون الرسالة من يد الدركي، وبدون أن تعرف الخط، بقيت تحدق إليها وفجأة دعكتها وأطلقت غصتها وساءت حالها.

جاءت خاور نحو أمها، احتضنتها خاتون وأعولت. استولى البكاء على بي بي أيضًا. نهض دركي الدورية، قال مهمهمًا «يا الله»[٤] وخرج من الباب. ولكن صوت عويل المرأتين بقي في أذنه. ولم ينقطع هذا العويل حتى الغد، تحت الشمس وعند الستارة التي تحمل صور الأئمة. هناك أقامت خاتون مأتم زوجها، وهناك أيضًا أغمي عليها وفي ذلك المكان أيضًا سحبوها خارج حشد النساء ورشوا على وجهها ماء، وهناك كذلك أنهت المأتم. ثم نهضت، أخذت يد ابنتها وانطلقت بمعية أمها من جنب جدار "الثلاجة" المرتفع القديم كي تتمشى وتخفف الألم الذي في داخل صدرها. يبدو أنه في مثل هذه الأوقات لا ينفع الإنسان إلا الوحدة. وهكذا فقد وضعت يد ابنتها في يد بي بي، ووجّهتهما إلى البيت، ومضت هي بين الأزقة الغريبة. سارت حتى وقت متأخر. بعد الغروب اتجهت إلى بيتها. كانت الدنيا قد أظلمت. كانت مصابيح الأزقة الكهربائية قد أنيرت وخاتون ماضية في سيرها حتى الآن. جاءت، عبرت من تحت الجسر وعلى الطريق الضيق ذهبت نحو بيتها. لم يكن فكرها ولا حواسها في الخارج. ومع ذلك لم يكن ممكنًا ألا ترى الشبيِّب إياه. كان مرحب واقفًا قرب الجسر، متكئًا على دراجته، ينظر إلى رواح خاتون. ولكن خاتون كانت أكثر اكتئابًا من أن تستدير وتراه. إذن فقد ذهبت ساكتة ملخبطة نحو بيتها كي تجلس وتفكر جيدًا وتحسب.

هوامش الفصل - ٥ -

(١) الشادر الذى يستعمل عادة لتغطية الحشايا والأغطية.

(٢) المنديل الفارسى التقليدى الكبير المساحة.

(٣) من علائم اعتياد الأفيون، أو (الشيرة).

(٤) أحد معانيها: وداعًا، فى أمان الله.

- ٦ -

قال مشير:

- ماذا هناك؟ كم يوم وأنت مسطول؟

خلل مرحب أسنانه بليطة عود كبريت وقال:

- كلا، لا شيء هناك.

وقال علي:

- وما شأنك؟

جمع مشير الديزي[١] الخالي والطاسة ومدقة اللحم[٢]، ورفعها من بين أيديهما، ومضى. قال مرحب:

- لا تتبطه هكذا. عندنا شغل في يده.

قال علي:

- هات شايين. وسيرنّ بوقه.

كان علي ومرحب يجلسان، تحت ظليلة مقهى مشير، بين عمال آخرين - جاء كل منهم من مكان ليتناولوا غداءهم - ويقضيان ساعة الغداء. قال مرحب:

- ليتك ذهبت، عندما كنت تركب الدراجة، فمررت بأبيك ثم عدت.

قال على:

- أنا أيضًا فكرت فى ذلك. ولكننى لا أجرؤ من يد هذا الأُسطى، قذر اللسان وغير مراع جدا. ما إن تتأخر دقيقتين حتى يفتح بوابة فمه وينثر على الواحد كل ما يأتى على لسانه. سأروح ذات مرة ليلاً.

وضع مشير الشاى أمام مرحب وقال:

- عسى ألا تكون صرت مزاجيًّا مرة أخرى.

- لا، لا أفكر فى هذا.

- ماذا إذن؟ لم تعد ضحكة - مِحْكة[٣] ترتسم على شفتيك؟ عسى ألا تكون صرت عاشقًا؟

فابتسم مرحب:

- عاشق؟! بجيب خال؟

وقال على:

- مادامت صرخة هذا البوق لم ترتفع بعد قم لنذهب.

شربا الشاى ونهضا. أمسك مرحب مقبض دراجته ورفعها ثم أخذا يسيران إلى جنب أحدهما الآخر. قال مرحب:

- الجو يزداد حرارة شيئًا فشيئًا ها!

قال علي:

– نعم.. عسى ألا يكون هواء المشاتي قد ضرب رأسك؟

ضحك مرحب. قال علي:

– على فكرة، مسألة. أأنت منتبه إلى أنك صرت تكثر التسكع حول هذا البيت؟

– هه.. ماذا جرى؟

– لا شيء.. لأنني أخشى أن يلتف هذا الدركي بساقك. أفتعلم، كثيرون معجبون بهذه المرأة. أحدهم رئيس قسمك في العمل إياه. إنه لمن الحشريين جداً. لا تمر عشية جمعة دون أن يمر هناك. يأتي الصحاب دائمًا بأخباره من هناك. يقولون إن عنده صاحبة خصوصية. وهو فوق ذلك متزوج وله أربع بنات. لهذا تراه ينحشر بك على الدوام. أأدركت الموقف الآن؟ كثيرون تربصوا لهذه المرأة..

هز مرحب رأسه وقال:

– ولكن كما رأيتها أنا، فهي ليست من هاته النساء التي تعطي ركاباً لأيٍّ كان.

قال علي:

– بعد ذلك فباقي الأمر معك.

انفصلا في المعمل أحدهما عن الآخر، وذهب كل منهما إلى قسمه.

عندما توقفا عن العمل وقت المغرب، أجلس مرحب عليًّا على أنبوب دراجتــه، أوصله إلى بيتــه فى "يافْتْ آباد"(٤) وعـاد، بدون إبطاء، نحـو مقهى مشير، مشّط رأسه وسالفه، لبس قميصه النظيف وانطلق نحو مكانه المعهود لكل ليلة. كان هذا قد صار عمله الدائم. ما إن تظلم السماء حتى يذهب فيتسكع حول بيت خاتون. يتمدد على بطن السكة، يجلس، يمشى، يركب دراجته، ويسعى إن أمكن أن يرى شبح خاتون ولو نظرة واحدة، وإن لم يرها ينام حتى الصباح مضطربًا. كما لو أنه أضاع شيئًا. حتى الآن، مع كل هذه الأعصر التى قضاها، لم يكن قد تورط فى أى مكان على هذا النحو. عندما كان فى "غُرغان"(٥)، انجرَّت قدمه إلى عند «رُخسار»، لكنها لم تعلق. كان قد تعلم، فى تلك السنة ذاتها بين زارعى القطن السبزواريين(٦)، قرع الدف. وتعلم الرقص القوچانى(٧) أيضًا فى السنة ذاتها. إنه يتعلم كل عمل سريعًا، ولكنه تعلم الرقص ودق الدفوف أسرع. عند الغروب، بعد أن يخرج من مزرعة القطن، كان يذهب مع عدد من لداته إلى مضخة الماء، ويقيمون ضجة. وكانت رخسار تأتى، فى كثير من الأحيان، لتتفرج. وكم كانت عنّابية(٨)!

جاءت عربة، مرت من تحت الجسر وذهبت نحو بيت خاتون. نظر مرحب إلى ذهاب العربة. توقفت العربة قرب باب البيت وترجل أحدهم منها. جلس مرحب على دراجته ومضى باتجاه البيت. توقف على بعد قليل من باب البيت. دق الرجل الذى ترجل الباب. انفتح الباب أمامه. أدار الحوذى رأس الحصان وأوقف العربة بالاتجاه الذى جاء منه. هز الحصان أذنه بضع مرات، أدار الحوذى رأسه وكتفه مرتين نحو باب البيت ونظر، وبعد لحظة خرج الرجل الذى كان قد دخل، بمعية خاتون.

كانا يجران، متعاونين، شيئًا من فتحة الباب. لابد أنه قطعة سجاد. ذهب الحوذى إلى أسفل. ساعد فوضعوا السجادة فى موضع الأقدام. استقر الحوذى فى مكانه فيما زحف الرجل إلى داخل العربة، ووضع ساقيه على السجادة. كانت العربة تنطلق. قالت خاتون:

- يا أُسطى صفى، اعتبر السجادة سجادتك. يجب أن نسدّ بثمنها كثيراً من الحفر.

- سأبذل جهدى. المهم نوع المشترى الذى سيأتى.

انطلقت العربة. وقفت خاتون لحظة عند الباب، ثم ذهبت إلى البيت وأغلقت الباب. بقى مرحب برهة فى مكانه، ثم منح نفسه جرأة فاتجه هادئًا نحو البيت. سحب نفسه إلى جذر الحائط وجلس أدنى النافذة. جاء صوت خاور من داخل الغرفة:

- أخذها؟

قالت خاتون:

- الآن أخذها.

قالت خاور:

- لماذا تخلعين عنك الثوب الأسود يا أماه؟

قالت خاتون:

- لقد انتهى المأتم يا عزيزتى.

استقام مرحب بخوف وميل على قدميه، أقام ساقه ونظر من زاوية الشباك إلى داخل الغرفة. كانت خاتون تنضو ثوبها الأسود عن جسدها. خلعته. كان ظهرها إلى النافذة ولم يستطع مرحب أن يرى غير رأسى

الكتفين، والخصر، وردفيها. لم تكن بيضاء جداً، ولكنه أحس بأنها لابد أن تكون لطيفة وناعمة جداً. ذهبت خاتون نحو الصندوق، أخرجت منه ثوباً زهرياً ولبسته. ثم ذهبت نحو المرآة، ومسدت رأسها وسالفيها. لم يتحمل مرحب أكثر من هذا. انحنى وجلس. جلس لحظات ساكناً، أطبق أجفانه وراح يحوك لنفسه خيالات. ثم نهض، رفع دراجته عن الأرض، واتجه إلى مقهى مشير. في الطريق رأى بى بى بصحبة رجل تتجه نحو البيت. اجتازهما صامتاً، وإلى الجانب الثانى، وراءهما وقف. أخذت بى بى الرجل إلى البيت وبعد برهة ارتفع صراخ خاتون. كانت تزعق وتشتم أمها. كانت تقول من قال لك أن تجلبى رجلاً غريباً إلى بيتى. تقولين هو ابن السيد، فليكن. ما شأنى أنا؟ أفأنا قحبة؟ أفأنا..

مضى مرحب نحو البيت ووقف أقرب. كانت بى بى تتملق بالأقوال. خرج الرجل من البيت. ذاهلاً ومرتبكاً مضى نحو خط السكة الحديد. أراد مرحب أن يحجزه، ولكنه أحس أنه هو نفسه كان يموت. وهكذا فقد اقترب إلى البيت أكثر ووقف، وراء الجدار، يتنصت. كان يأتى من الداخل صوت بكاء. كان ثلاثتهن، معاً، يبكين: خاتون، وخاور، وبى بى. كانت بى بى تقول بين بكائها:

- ماذا سيحل بى الآن؟ ما الذى سيجرى علىَّ؟ إنهم سيطردوننى من بيتهم. سيطردونني من بيتهم. إنه لا يدرى أية سليطة أنت. سيتصور أننى نصبت له هنا فخاً. يا إلهى.. سيطردوننى من بيتهم!

أمسك مرحب جبينه بيده وضغطه. كان ظل يأتى من البعيد. الدركى. نهض مرحب وفكر "ينبغى أن أضيِّع نفسى على نحو ما".

هوامش الفصل - ٦ -

(١) وعاء خاص لصنع الـ «ماء لحم» - وجبة الغذاء التقليدية الإيرانية - يكون كثير الشبه بوعاء صنع القهوة، الـ «ركوة»، ولكن بعروتين بدلاً من القبضة، توضع فيه الكمية الكافية لأكل شخص واحد - بعد تحضيرها للطبخ في قدر كبيرة. قد يكون معدنيا أو فخاريًا.

(٢) وسيلة تشبه قبضة الهاون، يكون طرفها الأدنى عريضًا، تستعمل لهرس اللحم والبطاطا والبصل والحمّص - مكونات «ماء اللحم» - في الـ «ديزى»، استعدادًا لأكلها.

(٣) من وسائل تفصيل الكلام في الفارسية، تكرار بعض الكلمات بعد إبدال حرفها الأول ميمًا.

(٤) حي فقير جنوبي طهران.

(٥) بلدة، أسماها العرب جُرجان، صارت محافظة باسم «غُلستان» الآن، تقع في شمال غربي إيران.

(٦) أبناء سَبْزَوار، منطقة في شمال - شرق إيران، محافظة خراسان.

(٧) نسبة إلى عشائر تقيم في مدينة في تلك الأطراف، بالاسم نفسه، قريبة من سبزوار.

(٨) لنلاحظ أن «رخسار»، مع كونه اسمًا علمًا مؤنثًا، فهو يعني «خد»، «وجنة» أو «صفحة خد».

- ٧ -

كان يوم جمعة حار. كان على قد عرّى جسده النحيف وجلس عند حافة النهر يغسل قميصه الداخلى وجوربيه ويفركها. كانت الشمس تسطع على شعره المبلول والشعر يبرق تحت نور الشمس الحاد. كان قد غطس فى الماء مع مرحب أولاً، ثم جلس على كى يغسل ملابسه. والآن، هاهو مرحب أبعد عن النهر، يتمدد على صدره وساقاه يلعبان فى الهواء. إلى جانبه كانت قشرتا بطيخة حمراء، نصف مأكولتين، مرميتين. وأمامه، أدنى من على، كان عربجى عجوز - هو الذى كان أوصل مرحب شتاء إلى باب معمل المطاط - يغسل عربته. ولكنه كان قد خرج من قشرته الشتوية. كان فى داخل قميص مفتوح الياقة، وشعر صدره الأبيض خارجًا من بين ياقته، وساقاه الجافتان غائصتين إلى ما تحت الركبتين فى الماء وقد قصّر لحيته أيضًا. لف ساقَىْ سرواله إلى أعلى. كان قد غسل حصانه قبلاً وأطلقه تحت الشمس، وكان شعر الحصان البنى يبرق، مثل شعر على، تحت الشمس.

شطف على القميص الداخلى، ونهض من مكانه. نشره على أجمة شوك، وعرض جوربيه للشمس أيضًا، ثم جاء إلى حافة النهر،

ترك ساقيه فى الماء، ارتدى قميصه وأخرج نظارته بحذر من جيبه فوضعها على عينيه، ومضى نحو مرحب وسحب قشر البطيخ نحوه كى يشرب مرة أخرى بقية مائه. شربه وقال لمرحب:

- مازلت أخرس؟ ما الموضوع على كل حال؟

- لا شيء بابا، لا شيء.

- تلك المرأة لها علاقة؟

- لها وليس لها. نعم ولا. إن الإنسان يدخل أمراً ما، ولكنه عندما يفكر فيما بعد يسأل نفسه: وماذا الآن؟ يصير فى وضع ما. يحار، لا يدرى ما يجب أن يفعل. يكاد يندم، ولكنه ليس نادماً أيضاً. مغتاظ، ولكنه ليس مغتاظاً أيضاً. راض، ولكنه غير راض أيضاً. لا أدرى، لا أدرى. بف!

- لابد أنك دخلت فى معمعان المعمل أيضاً؟

- لا بابا، أى معمعان؟.. انتهى غسيلك؟

- نعم، شررته كى يجف.

أرّث على لنفسه سيجارة، ونهض مرحب قائلاً:

- أنت الآخر دائماً مثل كانون الفخار تخرج دخاناً! أيها الإنسان المضبوط، هذا القدر من السجاير ليس حسناً لك. ما بنيتك؟ بعد غد تهرب روحك!

وبدون أن يجلس بانتظار جواب علي، قفز عن مكانه، وكما لو كان يريد أن يهرب من ذاته، ذهب نحو الشيخ وأخذ الدلو القصديرى منه قائلاً:

- أنت قد تعبت الآن يا عمو. اذهب فاجلس نفَساً. أنا أشطفها.

خرج الشيخ من الماء، غسل مرحب العربة سريعًا ومحموماً، وعلق الدلو بها، خرج من الماء وقال لعلى:

- لما لم نذهب.

كان الشيخ قد اعتنق عنق حصانه وراح يجلبه نحو العربة. رفع على قميصه الداخلي وجوربيه عن شجيرة الشوك وانطلق مع مرحب قدماً لقدم. لوّح مرحب بيده للشيخ وقال:

- فى أمان الله.

وهز الشيخ له رأسه.

فى الطريق عندما كانا يمضيان قال علي:

- كأن موضوع هذه المرأة يفقدك حماسك؟ لم تعد تنفخ وتفخر؟

استدار مرحب نحوه، كانت على شفتيه ابتسامة. قال:

- لقد صرت وإياك رفيقين. أنا لا أنفخ وأتباهى على رفاقى. إن عادتى السيئة هى أننى ما إن أصل أول غريب حتى أبدأ بالنفخ له. لا أدرى ما هذه الحال التى عندى! أظننى لا أريد أن تنمحى أهميتى فوراً.

ولكن بعد أن تزول الكلفة بينى وبينه، أصير أنظف له حتى من المرآة. مثلاً، أتذكر تلك الليلة الأولى التى رأينا فيها أحدنا الآخر فى المقهى؟ عندما قلت إن عندى معارف كثراً؟ تلك الليلة ذاتها كنت أشد الناس عوزاً إلى المعارف. وفى قعر جيبى أيضًا كان القمل يرمى الكعاب[1]. ولكننى كنت مضطراً أن أتباهى عليك. أتعلم، لقد طوفت فى الدنيا كثيراً. ولهذا أعرف أن أتحدث عن كل شىء. أعرف أن أحيك. أنا نفسى لا أدرى ما الذى يجرى فأستطيع أن ألفق كل هذا الكلام؟ لا أدرى ولكنه يأتى هكذا. أتدرى ماذا يصيبنى دفعة واحدة؟ فجأة أحس ذلاً. أفقد صبرى. ولهذا أهرب. لا أستطيع أن أرتهن نفسى للقمة خبز. أتفهم؟ لا أستطيع أن أصير من الصباح حتى المساء أجير بطنى. آه يا للظلم والحيف! لا تدرى عندما أغوص فى الفكر والخيال ما الذى لا يخطر ببالى! ما الأشياء التى لا أفكر فيها. فجأة أصير على نحو بحيث أتمنى أن أطير كالعنقاء! أتخيل أن بمقدورى أن أفعل أشياء كثيرة. أى نوع من الأعمال. عندما يبدأ مخى يدور لا أعود أستطيع إيقافه. أصير فى حال ما. فى مثل هذه الأوقات لو كان تحت يدى جيش أتصور أننى يمكننى أن أقوده وأديره. ولهذا لا أصبر على مكان واحد. أبقى فى مكان. أشتغل، أشتغل، ثم كما لو أكون وصلت نهاية زقاق، أفاجأ، فأسأل نفسى: ما هذا؟ فأحرف طريقى وأذهب من جانب آخر. كما لو كنت أريد أن أجد طريقًا آخر. أبحث عن شىء ما. ولكن ما هو ذاك الشىء، أنا أيضًا لا أدرى. وليس ثمة أيضًا من يدرى فيقول لى. وربما لو كانوا يدرون لا يقولون. ثم مَن عندى ليقول لى أو لا يقول؟ ثم آتى فأقع تحت يد هذا الفسوة، تحت يد أسطى المعمل وأضطر إلى تحمل

تبجحاته. لقد اشتغلت فى جميع أنحاء هذه البلاد. وعملت فى كل الأعمال تقريباً: التقاط القطن، الحصاد، زراعة البطيخ، تعبيد الطرق، الدهان، البناء، مساعدة السواق، التجارة. أكون اليوم هنا، وبعد عشرة أيام فى مكان آخر. كالعصفور الدورى تماماً، أرى ذات يوم طهران بلا بهاء، فأقول يا حق إلى غُرغان. وجدت اليوم هنا الجو بارداً فأقول يا حق أهواز[٢]. أجد غداً هنا حاراً، فأقول يا حق كرمونشاه[٣]. بعد غد أرى هناك دافئاً، فأقول يا حق بجنورد[٤]. هكذا... ولكننى لم أستطع الصبر على أى مكان قط. لا أستطيع التحمل فى أى مكان. الحقيقة، أنا نفسى لا أدرى ما أريد. ماذا أريد؟

- اركبا.

كان الشيخ العربجى الذى جاء من وراء ولحق بهما. تعلق مرحب وعلى بحافة العربة وركبا. كان نوع من سرور خاص قد حل بهما: كانا يحسان رقة. محبة للشيخ. بقيا لحظات صامتين. ثم أدار الشيخ نصف كتفه ووجهه وقال:

- الآن هناك، فى معمل المطاط، تشتغل؟

أجابه مرحب:

- لا يا عمى العزيز، لم أُقبَل هناك.

- ماذا تشتغل الآن إذن؟

- أعمل فى قسم النجارة بمعمل الأنابيب.

- إذن فيمكنك النجارة؟

- إيْ.. يدى على بعض المعرفة بالمسمار والفأس.

مكث الشيخ قليلاً ثم قال مازحًا:

- الحقيقة أننى عندما رأيتك أول يوم لم أصدق أن بمقدورك أن تعمل شيئًا! كنت أسائل نفسى: لأى شغل يصلح هذا الفتى؟ إنه لا يشبه الكسبة. وليس رعية لأحد أيضًا. ولا يبدو لناظرى عاملاً مطبوخًا. إذن ماذا يمكن أن يكون؟

ضحك مرحب، وأراد أن يلاحى العجوز. قال:

- حقا، ماذا تصورتنى ذلك اليوم؟

- تصورتك هاربًا من ثكنة أو من مكان ما.

- به! أفلم ترَ قذالى؟

ابتسم الشيخ نحوه وقال:

- كانت قبعة على رأسك، أفنسيت؟

نظر مرحب إلى صاحبه وقال:

- أأنت منتبه؟ ما نسيته أنا يذكره هذا. حسنًا، الآن من أين تظننى كنت هاربًا ذلك اليوم على كل حال؟

فضحك العجوز:

- لا شيء بابا.. لا شيء.

- المطربون!

قال على هذا بلا اختيار، ولاحق مرحب مجرى نظرة على. في الجانب الآخر، جنب جدار الثلاجة وقريبًا من محل بيع المثلجات، أقام الطبالون[٥] الجوالون مجلسًا، وكانوا قد جمعوا الناس في يوم الجمعة حولهم.

- أتحب أن نذهب للفرجة؟

قال على:

- إذا كنت أنت تحب.

- في أمان الله بابا. ممنون.

قفزا كلاهما إلى أسفل واتجها نحو الحشد. في حلقة الجمهور كان الطبالون يقرعون ويدقون، وكان شخصان أيضًا يرقصان بينهم. كان ذلك الذي ينفخ المزمار يلبس طاقية صفراء على رأسه، وكان وجهه طويلاً وعندما ينفخ في المزمار ينتفخ خداه أكثر من المألوف. شق مرحب وعلى لنفسيهما مكانًا بين أكتاف الحشد. كان رقصًا حارًا. ولكن مرحبًا لم يستطع أن يعرف رقص أية منطقة. كردى أم غيلى[٦] أم خراسانى؟ ربما كانوا من منطقة لم يسبق لمرحب أن سافر إليها. ولكنه كان يهوى أن يقفز إلى الحلبة ويرقص على الإيقاع إياه. لو أن العزف والرقص اتصلا لحظة أخرى بالحرارة نفسها فلربما لم يكن ليستطيع منع نفسه،

ولكن شيئًا منعه. على نحو وكأنه انهار فجأة. عينا خاتون. رأى عينى خاتون فى الحشد تحجبهما حركة أيدِى ورأسَىْ الراقصين وأكتافهما ثم تكشفهما، فلم يعد مرحب قادراً على الانتباه للرقص واللعب والعزف والطبل. سحبت خاتون نفسها من الجمع، ولكز مرحب - وهو يسعى لأن يبقيها تحت نظره - ظهر رفيقه بمرفقه وقال:

- أنا ذاهب. وأنت اذهب من هنا رأساً إلى مصلح الدراجات فخذ الدراجة إلى بيتكم. إن لم يكن لَحَم ثقبها تقف حتى يلحمه، ها! فى أمان الله. إن صار عندى وقت، أجىء إلى البيت مساء، وإلا فسنلتقى صباح غد فى المعمل. فى أمان الله.

راقب على ذهاب مرحب، وبقى برهة حائرًا مذهولاً، ثم وَجَّه انتباهه وحواسه إلى الرقص المتعب فى الحلبة ومضت يده إلى جيبه كى يستخرج نقداً فكةً. لأن الاثنين اللذين كانا يرقصان كان العرق قد سال من أصول آذانهما وجبينيهما، ولأن الرقص واللعب كانا ينتهيان ولابد أن أحداً سيأخذ طاسته المكسورة ويدور كى يجمع المال.

كان مرحب وخاتون يسيران جنبًا إلى جنب وجدار الثلاجة.

- من أنت؟ ماذا تريد؟

قال مرحب:

- أنا ذاك الذى رأيتِه قبلاً. ابن الأسياد ذاك لم يأتك مرة أخرى؟

- أىّ؟

- ذاك الذى جاء تلك الليلة.

- من أين تعرف؟ أين كنت تلك الليلة؟

- لقد كنت هنـــاك كثيراً من الليـالى ولكنــك لم ترى. كلما أكون بلا عمل أتسكع هناك.

- فى أى عمل؟

طرحت خـاتون هـذا السـؤال شطارة منهـا، وجـعلت نصف نظرة أيضاً متبلاً لكلامها. فقال مرحب، قارناً قوله ببسمة:

- جئت أرى شخصاً.

- من؟

أشار مرحب إلى عربة خالية كانت تمر من هناك، وقال:

- أنركب العربة؟

لزمت خـاتون الصـمت. نـادى مرحـب على العـربة. توقـفت العـربة. ركبا كلاهما. خاتون أولاً ثم مرحب. قال الحوذى:

- أين أذهب؟

قال مرحب:

- إمام زاده[٧] حسن.

وقال لخاتون:

- أتحبين أن نذهب فنشاهد تعزية؟

لم تقل خاتون شيئًا. سأل مرحب:

- أين كنت ذاهبة؟ من أين كنت قادمة؟

قالت خاتون:

- كنت ذهبت أبحث عن عمل. سمعت أن مصنع البكرات يستخدم عاملات. كنت ذهبت أسأل أحدهم إن كان ذلك صحيحاً.

- أكان صحيحًا؟

قالت خاتون:

- وأنت ما كنت تفعل؟

- كنت ذاهبًا فى جولة الجمعة. فأنا لا أشتغل أيام الجمعة قط. كنت قد ذهبت مع صاحبى إلى فرح زاد، وجئنا بعدها إلى حافة النهر، غسلنا أنفسنا. كنا ذاهبين الآن لنستعيد دراجتنا.

- أنتما شريكان فى تلك الدراجة؟

- لسنا شريكين. ولكن هكذا نركبها معًا.

لم تقل خاتون شيئًا. نظر مرحب إلى صفحة خدها وقال بصوت خفيض، بحيث لا يسمع الحوذى:

- اليوم صباحًا أيضًا بقيت طويلاً واقفًا وراء السكة أنظر إلى باب بيتكم.

بقيت خاتون لحظة ساكتة. فكر مرحب أنها ربما تكون مغتمة. ثم سألت:

- أنت.. أعندك امرأة وأطفال؟

لعق مرحب شفتيه الجافتين بأسلة لسانه وقال:

- لا.. ليس عندى.. لماذا؟

- لا شيء.. هكذا.. هكذا سألت.

مرة أخرى سكون، كسره مرحب:

- أنا.. قبل ليلتين أو ثلاث استولت على رأسى فكرة أن أجيء وأدق باب بيتكم وأدخل فجأة.

انشرح فؤاد خاتون:

- باب بيتنا؟ ليلاً؟ أنت جريء وشجاع جدا؟

قال مرحب:

- أصابنى هوس شديد. لو أننى كنت جئت.. لقفزت عن الجدار إلى الباحة.. ولكن، أخيراً ترجلت عن حمار الشيطان(٨).

سُرّت خاتون كثيراً لكلامه، ولكنها لم تُظهر ذلك. كانوا قد وصلوا إمام زاده حسن. وقفت العربة. ترجلا. دفع مرحب الأجرة وانطلقا معًا نحو باحة ابن الإمام. كان داخل الباحة مزدحمًا. ولكن لم تكن ثمة تعزية. سأل مرحب. قالوا إن المخفر أرسل من جاءوا فرفعوا التعزية

وأخذوا أيضًا رؤساء قراء التعزية. نظر مرحب إلى خاتون. كانت خاتون تضحك في عينيها. أخذها مرحب نحو غرفة، كانت الغرفة قد شغرت حديثًا. جلست خاتون ومرحب. جلسا مثل امرأة وزوجها، قريبين جداً من بعضهما. لا كتفًا بكتف. أعنى من الباطن. جازف مرحب وقال:

– لم تلبسى بعد ذلك قط ثوبًا أسود؟

غاصت خاتون لحظة فى التفكير، وقالت:

– أى ثوب أسود؟ متى؟

– تلك الليلة إياها، تلك الليلة نفسها التى جاء فيها رجل فى عربة وأخذ معه سجادتكم. حقا، ما كان شغل ذلك الشخص؟

بدون أن تنظر خاتون إلى مرحب، قالت:

– يا لك من مؤذى الجنس! من أين تعرف هذه الأشياء؟

قال مرحب:

– أنا غير مرئى. دائمًا، أينما كنتِ أو تكونين، أنا موجود. تلك الليلة أيضًا كنت أنظر إليك من وراء النافذة... وقد رأيت جسدك أيضًا.

فاستدارت خاتون بحدة. وقال مرحب:

– بعين مَحْرَم[٩]: رأيت كيف خلعت الثوب الأسود عن بدنك ولبست ذلك الثوب الزهرى... لا أكذب عليك، وقد سررت كثيرًا أيضًا. لاتزال تلك الليلة أمام ناظرىّ.. حسنًا، لماذا كنت فى حداد؟

خفضت خاتون رأسها ولزمت الصمت برهة. ثم تنهدت، وبعد برهة قالت:

- لا تسأل. إن كنت لا تدرى فلا تسل.

قال مرحب كاذبًا:

- أدرى.

- فماذا تريد أن تعرف إذن؟

- لا لشيء.. أكان زوجك؟

- نعم... فى العام الماضى فى مثل هذا الوقت ذهبنا إلى شاه عبد العظيم وأكلنا خسًا. جميعنا، أى نوع من المخلوقات نحن، المخلوقات ذوات الساقين؟!

- إن لم تكونى تريدين فلا تتحدثى عنه.

حبست خاتون شفتيها بين أسنانها وقالت:

- ماذا عندى كى أقوله؟ كان يشرب شايًا كثيرًا. وكان يعمل فى محل حدادة ومعه دائمًا من شاى الأكياس هذا فى معيته. ولم يكن بالإنسان السيئ. جاء مساء إلى البيت وقال إنه يريد أن يذهب. وذهب.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك جاء خبره أنه غرق. هذا كل ما هنالك. أترى بأية سهولة؟ هه! مثل شرب ماء.

طيّر مرحب بصقة وقال:

- هه! هذا هو. نوعنا من البشر الذين لا نُعد بين الآدميين يفنى كل واحد منا بطريق ما. كالذباب، أو النمل. وليس ثمة من يقرأ لنا الفاتحة كذلك! تفو.. إن كنت تريدين الزيارة قومى اذهبى. أنا جالس هنا.

نظرت خاتون إلى وجهه العابس وقالت:

- وماذا عنك؟ أفلا تزور؟

- لا. لا طاقة لى.

- قلتُ نذهب معًا.

فتحكّم مرحب:

- تريدين أن تذهبى قومى إذن، ما شأنك بى؟

خفضت خاتون، وكأنها تسمع من زوجها كلامًا، رأسها وقالت مطيعة:

- حذاءىً إذن؟

قال مرحب:

- اتركيهما هنا.

خلعت خاتون حذائيها من قدميها، صفتهما ووضعتهما إلى جانب يد مرحب ونهضت فذهبت إلى الحرم. كان مرحب لايزال منطويًا على نفسه وعابسًا. كان شىء ما، غير الضياع، يعذبه. أرَّث سيجارة،

أوكأ عقب رأسه بالجدار وضغط أجفانه على بعض وفكر فى طريقة يمنع بها تفكيره.

سرعان ما خرجت خاتون من الحرم. كان واضحًا أنها لم تدر حتى ثلاث دورات كاملة حول المقبرة. عندما نظر إليها مرحب لم تكن عيناها نديتين. كان واضحًا أنها لا طاقة لها على سماع الروضة[١٠] والبكاء. وضع مرحب حذاءيها أمامها. لبستهما خاتون ثم خرجا معًا من صحن ابن الإمام. فى الطريق كانا صامتين. لم يستطع أى منهما أن يكلم الآخر. نادى مرحب على عربة. ركبا. كانت الشمس تغرب. فى العربة أيضًا لم يتكلما وقتًا طويلاً. فى نصف الطريق نظرا إلى بعضهما البعض. ابتسمت خاتون وقالت:

- انقبض فؤادك؟

هز مرحب رأسه. فقالت خاتون:

- لم لا، انقبض. ولكن على أى حال، مثل هذه الأمور تحصل للجميع. يجب عدم التكلم كثيرًا عنه. فلا يعالج ذلك ألمًا. يرش الإنسان ملحًا على الجرح كى يصير ماذا؟.. كان حسنًا لو أنك أيضًا جئت إلى الحرم. تخف روحك.

قال مرحب:

- ليس لقلبى انجذاب. لا أدرى لماذا؟ صارت مثل هذه الأعمال الآن فى نظرى مجرد ألاعيب. ما نتيجتها؟

- يعنى عديم الديانة؟

- لا. ولكننى أصير هكذا أحيانًا. وربما أيضًا لأن انتباهى فى موقع آخر.

- أين كان انتباهك الآن؟

ابتسم لها مرحب. أحست خاتون معنى ابتسامته. كما لو أنها فهمت أنها هى التى شغلت خاطر مرحب. ولهذا كانت تباهى بنفسها. نوع من الغرور النسائى. حالة كأنها موجودة فى كل امرأة. وأدرك مرحب أيضًا هذا. أدرك أن خاتون يسرها أن تجد لنفسها مكانًا فى فؤاده. مثل هذه الأشياء لا تذكر قط باللسان، ولكنها تُحس. إنها مثل شيء غير مرئى، لا تُرى، ولكنها موجودة. يقال كلام، ولكنه يعطى معنى آخر. كما لو أن شيئًا، حالة تجرى تحت الخدين وتتعرى وتجرى على اللسان. كانا كلاهما يحسان ذلك. لا لكونهما سمعاه من لسان بعض؛ كلا. فهماه من حالة بعض.

قالت خاتون:

- لنترجل هنا. ليس حسنًا أن نذهب معًا إلى باب البيت.

ترجلا. الآن، كانت ذبالة النور قد زايلت السماء أيضًا. كان الجو قد صار رماديًا. لم يعد ممكنًا تمييز الناس بوجوههم. لا تُرى إلا هياكلهم. كان كل امرئ يتحرك مثل شبح معتم. انطلقت خاتون ومرحب من أول خط السكة الحديد. وصلا قريبًا من الجسر صامتين. كان تحت الجسر مظلمًا. قالت خاتون:

- اذهب أنت.. الآن.

جرّ مرحب نفسه إلى تحت الجسر وسحب خاتون أيضًا نحوه. أهى انسحبت أم أن مرحبًا جرَّ يدها؟ لم يفهم أى منهما ذلك. سمعت خاتون فقط «إننى أحلم بك كثيرًا» ثم أحست نفسها فى حضن مرحب، وأحست بمرحب فى حضنها. التف أحدهما بالآخر. كما لو أنهما صارا واحداً. كانت خاتون قد أسلمته بدنها. ولكن لا المكان كان مناسبًا ولا الوقت. ومع ذلك فقد قبَّلها مرحب جيداً وتشممها جيداً، وطال هذا الأمر حتى جاء القطار وعبر من فوق رأسيهما، ثم انفكا عن بعضهما. أسلمت خاتون، فى فرح وخوف، جسدها لجدار الجسر وتركت رأسها على كتف مرحب. أرَّث مرحب سيجارة. كان يدخن سيجارة دائمًا بعد مطارحة الغرام. تكون لذيذة. وطلبت خاتون أيضًا سيجارة. وضع مرحب سيجارته بين شفتيها فسحبت خاتون نفَسًا محكمًا، بحيث راحت تسعل. قبَّل مرحب جبينها وقال:

- سأجىء إلى بيتك عشية الجمعة.

- لا، ليس عشية الجمعة. أمى تذهب فى الآحاد إلى يافت آباد.

- فالأحد إذن.

- أترك الباب مردوداً. أنا ذاهبة الآن.

ذهبت مثل أفعى زحفت فى الليل وضاعت فيه. جلس مرحب تحت الجسر على الأرض وراح ينظر إلى أثر الذاهبة. ثم نظر إلى سيجارته. كانت تنتهى. سحب النفس الأخير أيضًا ورماها بعيداً.

هوامش الفصل - ٧ -

(١) كناية عن اتساع المكان من كثرة الفراغ.

(٢) مركز محافظة خوزستان، جنوب غربى إيران.

(٣) كرمانشاه محافظة غربى إيران، قريبة من الحدود العراقية. وقلب ألفها واواً من سمات الحكى الطهرانى.

(٤) قضاء فى محافظة خراسان.

(٥) المقصود ثنائى - أو أكثر - طبل ومزمار.

(٦) النسبة إلى غيلان، واسم قومها أيضاً، فأصلهم غير فارسى.

(٧) حرفيا: ابن الإمام، وهو لقب يطلق على أولاد أو أحفاد الأئمة الاثنى عشر، ولهم مراقد تزار.

(٨) حمار الشيطان كناية عن الهوس، أو العناد.

(٩) = من تحرم عليه المرأة المعنية.

(١٠) أشعار فى رثاء آل البيت وشرح وقائع مقاتلهم.

- ٨ -

كانا يقفان أمام مكتب المعمل. صدراً لصدر. مرحب وأستاذه فى الشغل. كان الأستاذ قد خرج من المكتب وهو ذاهب إذ رأى مرحباً فوقف:

- لماذا لست فى موقع عملك يا جناب السيد؟

أشار مرحب إلى الساعة على الجدار وقال:

- لا يزال ثمة دقيقة ونصف من الوقت. إننى ذاهب لأقدم طلب سلفة.

- فى ساعة العمل؟ اذهب فاكتب طلبك الليلة وتعال وقت الغداء غداً فأعطه للمكتب كى يقرروا بشأنه.

نظر مرحب إلى شاربيه المتدليين وحنكه الغائص وقال:

- وبعد كل هذا يقررون بشأنه؟!

مرّ الأُسطى أصغر دون جواب من جانب مرحب. ذهب مرحب وراءه وقرّب رأسه من كتفه وقال:

- لم يتضح لى أخيراً ما أمرك يا أصغر آقا[1]؟ أية خصومة وكراهية لك معى؟ ماذا عملت لك؟ أتركت شغلك دون إنجاز؟ أفلم أُراع احترامك؟ تكلمت عليك بالسوء وراء ظهرك؟ ها، ماذا فعلت لك؟

ساقه الأُسطى أصغر معه إلى تحت الظليلة وقال جوابًا على كل أسئلته:

- عندما تقف أمام المرآة تبدو لنفسك شاطرًا جدًا، لا؟

- طيب، يعنى ماذا؟

فقال الأُسطى أصغر:

- لماذا تريد أن تأخذ سلفة؟

- وما شأنك أنت بهذا؟

- المسألة أننى أدرى لماذا تريد السلفة.

- حسنًا؟

- لـ .. مطاردة النساء.

فقال مرحب:

- وما الفرق بالنسبة لك؟

- لا شىء، هكذا.

- يعنى؟

- يعنى أننا نعرف ما الذى تدبره فى الخفاء.

- أيؤذيك ذلك؟

نظر الأُسطى أصغر إلى مرحب ولزم الصمت. كأنما رأى شيئًا فى عينى مرحب أخافه.

وعض مرحب من جانبه شفته، خفض رأسه وبصق.

عند المغرب لما كان قادماً مع على، فتح مرحب الكلام معه:

– ماذا عند هذا من اختلاف حساب معى؟ أنا نفسى لا أدرى.

قال على فيما هو يتزحزح فى مقدمة الدراجة، على الأنبوبة:

– تقصد أصغر آقا؟

– نعم.. لا أدرى لِمَ يحب أن يعصرنى.

قال على:

– قلت لك منذ اليوم الأول لا تصطدم به. إن هؤلاء عندما يصيرون رؤساء عمال يكتسبون أخلاق العرفاء. يحبون أن يضغطوا على الجميع. وعندئذ، فإذا كان شخص غير مطيع، ويبقى عنقه مستقيمًا يحبون أن يحنوه. يحبون أن ينيموه. إن هؤلاء يحبون مذلة الناس أكثر.

كزّ مرحب على أسنانه، أفرغ غضبه فى ساقيه وداس الركاب بأقصى شدة فى الطريق الصاعد، وعندما هبط عن المنحدر، أخذ نفسًا وقال:

– ولكن لا وروح عمته. إن ما ينبغى أن يحنيه هو ظهره، لا عنقى.. أذاهب أنت إلى البيت؟

قال على:

– نعم.. عمَّ كان الموضوع؟

- سلفة. لم يدعنى أذهب لأقدم طلباً.

- سلفة لماذا؟

- أريد مالاً. أريد من أجل الليلة أربعين تومانًا أو خمسين.. اليوم الأحد.. لابد أن أدبره حتمًا. كيف وضْعُ جيبك؟

- إلا إذا أخذت لك من أحد ما؟

- من مثلاً؟

- من خالتى. إن استطعت أن أفتح معصمها.

وصلا منزل أبى على. زقاق ضيق ملتو، آخر الزقاق، باب قديم. بيت ضيق فى حفرة.

بقى مرحب خارج البيت. ذهب على إلى الداخل وبقيت إحدى ظلفتى الباب مفتوحة. كان بمقدور مرحب أن يرى أبا على فى قعر غرفتهم. كان مثل جنازة. جاف وممطوط ونحيل. كان سراج يحترق فوق المشكاة ويضفى نوره الميت حالة أشباح على خد الشيخ. عندما دخل على الغرفة، بدأ سعال الشيخ أيضًا، مع أول كلمة له. سعال، سعال، ذهب على قريبًا منه، أخذه من تحت إبطيه ورفعه، أخرجه من الغرفة وأخذه نحو الحفرة. أدار مرحب رأسه وأدار الدراجة ومضى نحو الزقاق ووقف هناك، فى زاوية الحائط، ينتظر. فى هذه الأثناء جاءت خالة على من بعيد. عرفها مرحب، فأشاح بوجهه كى لا تعرفه المرأة وتمر. وهذا ما كان. بعد لحظة من ذهابها جاء على. كان فى يده ورقتا نقد مدعوكتان. واحدة من فئة العشرين تومان والأخرى عشرة تومانات. قال:

– هذا كل ما استطعت أن آخذه. وإلى آخر الأسبوع أيضًا. تحب مالها كثيرًا. فهى من أجل كل قران[٢] منه ينبغى أن تغرز أربعين قبضة فى قطعة من خرق الأطفال! يحق لها أن تحبه.

أخذ مرحب المال وقال:

– أهيئها لها حتى آخر الأسبوع. حتى ولو بقوة العراك، إن تطلَّب الأمر، سآخذ السلفة. ولكن أباك يسعل بشكل...؟

قال على:

– يقىء دمًا. إنه لينفض أمعاءه إلى الخارج من فمه!

– من كثرة ما انحشر من غبار الكبريت إلى صدره فى المنجم. ربما كانت كبده قد انخرقت. فلنذهب نسعى علّنا ننيمه فى إحدى المستشفيات.

قال على:

– متى ننيمه؟ بعد أن صرفه الأطباء؟

لم يتمكن مرحب أن يقول غير "تفُ!" ثم تمكن أن يسكت برهة. قال له على:

– ألا تدخل؟

– لا، أذهب، أنت باق؟

– الآن باق.

وضع مرحب قدمه على الدواسة كي يوصل نفسه قبل إغلاق الحوانيت. أوصلها، وإذ كان ذاهبًا نحو منزل خاتون، كانت يداه مليئتين. ولكن ظلاًّ كان يرعى قريبًا من باب البيت. نعم. لابد أنه هو. الدركى. كان واضحًا من خطوه وتشممه. سحبت يد - لابد أنها يد خاتون - ستارة النافذة وسدت الطريق على النظرة اللصة. أجلس مرحب نفسه فى حفرة ما، داخل السواد. مرّ الدركى، ابتعد ظله وغاب عن النظر فى الليل. كان مرحب يحس اضطرابًا مستترًا تحت جلد وجهه كما لو كان يخشى شيئًا. خوفًا ضائعًا: انسحبت ستارة النافذة مرة أخرى وتفحصت عينا خاتون الخارج. كان واضحًا أنها هى أيضًا قلقة ومنتظرة.

أخرج مرحب نفسه من الحفرة، وانطلق نحو البيت بخطوات ثابتة. سحبت خاتون الستارة مرة أخرى. أحس مرحب أن المرأة يئست من مجيئه. ولذلك أسرع كي يوقف هذه الحال. أسرع، وتريث لحظة وراء الباب ثم دق يدًا على الباب، بهدوء. بهدوء تام وبصوت مكتوم. نظرت خاتون من زاوية النافذة إلى الخارج ثم جاءت بعد لحظة إلى خلف الباب. فكر مرحب أنها لابد قد وقفت آنًا عند المرآة ونظرت إلى نفسها. فتحت الباب وبلا صوت سحبت مرحبًا إلى الداخل. ذهبا إلى الغرفة. كانا مهتاجين ولم يكن بمقدور أى منهما أن يخفى ذلك عن الآخر. كانا ساكنين ومضطربين. جلس مرحب على حافة الصندوق وسعى إلى أن يتنفس براحة ويهدئ خفقان صدره. وقفت خاتون بجانب الحائط الخالى، على نحو وكأنها كانت مجبرة على الوقوف. كصورة ألصقت على

الجدار، واقفة كانت. كانت قد مسحت أحمر قليلاً على أعلى خديها وقد لونت حاجبيها أكثر وفركت شيئًا كالكحل حول عينيها. أو شيئًا مثل الفحم. كان شعرها الأسود والأجعد قليلاً، قد نام فوق رأسها وانهمر ذيله على كتفيها النحيلتين. كان الثوب الزهرى إياه على بدنها، وهو يصل إلى ساقيها. أحس مرحب للحظة أنها صارت كالغجريات. لم يكن يعوزها غير خال على الخد، سنّان ذهبيتان وأربعة أساور زائفة. أدار مرحب نظرة حول الغرفة. كانت الغرفة خالية. كان سراج يشتعل فى المشكاة وقد اسود من سقف المشكاة الهلالى على قدر عقب قدح شاى من دخان السراج. قريبًا من الباب كانت مرآة مكسورة قد ثبتت فى العمود بالطين. وإلى جانبها كانت منشفة منسولة معلقة بمسمار وأقرب إلى هذا الجانب، حيث كان مرحب جالسًا، على الصندوق كانت أسقاط: طست ووعاء غلى ماء وكسارة قند، ملقاة. إلى جانب الجدار كان ثمة نصف سرير يغطيه لحاف أحمر ووسادة زرقاء. كان غلاف الوسادة من مخمل ولابد أن خاتون كانت قد هيأته من ذيلى وظهر «يلها»[٣] المخملى. لابد أنه تراءى لها أنه يكون بهذا الشكل أكثر مرغوبية وأشد جذبًا للأنظار. على أرض الغرفة كان بساط قديم مفروشًا. وكانت زاويتا الستارة الحرير العتيقة - التى زالت عنها رسوم الورود والأوراق - مسمرة بأعلى باب المختلى. وقد وضعت خاتون أيضًا صورة حضرة على[٤] فى المشكاة قرب باب المختلى، وغطتها بتول ليلة عرسها كى لا يستقر فوقها الغبار. كان واضحًا أن خاتون تحب حضرة على كثيرًا. لابد أنها تحب حضرة أبى الفضل[٥] أيضًا. ليس معروفًا أى سر هناك فى هذه المسألة بحيث يظن المرء أن حضرة أبى الفضل أشبه كثيرًا

بحضرة على من بقية الأئمة وأولادهم. الإمام «زين العابدين»[٦] مثلاً، لا يشبه حضرة على. حتى بقدر شعرة. والإمام الحسن أيضاً، الذى هو ابن حضرة على، كذلك. والإمام الحسين أيضًا هو بنفسه مسألة أخرى، وهو لا يشبه إلا نفسه. هو على نحو بحيث لا يشبه أحداً قط. فكر مرحب. لابد أن خاتون وقفت كثيراً من الليالى أمام هاتين الصورتين وأهرقت دموعًا فى قلبها، وعلى أمل أن يأتى الإمام الأول فى منامها، وضعت رأسها على الوسادة وأغمضت أجفانها. ولكن ليس معلومًا ما إذا كان الإمام الأول قد جاء فى منام خاتون أم لا؟!

- لم أرك حتى الآن بهذا الشكل.

- أى شكل؟

- بلا شادر.

لم تستطع خاتون أن تقول شيئًا. لم تكن تعرف بماذا تجيب فى أمثال هذه الأوقات. ولهذا لزمت الصمت وطأطأت رأسها. سحب مرحب زجاجة العرقى التى كان جلبها معه من الكيس ووضعها على الصندوق، وجلس عند الصندوق على الأرض وسأل:

- ماذا فعلت بأمك؟

- أرسلتها إلى مكان ما. عند إحدى معارفها. أتتعشى؟

- دعيه، فيما بعد. أين أقداحك؟

- من أولئك؟

- فى بعض الأحيان. هاك، فرّطى واحدة أو اثنتين منها.

وضع مرحب كيس الرمان فى الوسط، جلبت خاتون صينية وجاءت فجلست قريباً من مرحب وانشغلت بفرط الرمان.

قال لها مرحب:

- أنت لا تشربين طبعًا؟

- أكنت تريدنى أن أشرب؟

ملأ مرحب قدحه إلى النصف ورفعه:

- فى سلامتك.

فقالت خاتون على استحياء:

- حسنًا.

أزاح مرحب القدح الخالى عن شفته. وضعه على الأرض ومص شفتيه. أعطته خاتون بضع حبات رمان وقالت:

- مع من تعيش؟

وضع مرحب حبات الرمان فوق لسانه وقال:

- لا أستطيع أن أكذب عليك. كما أننى لا أحب أن أنفخ أمامك. أنا لا أب عندى ولا أم.

بقيت خاتون دون كلام، ملأ مرحب قدحه، رفعه وقبل أن يشربه قال:

– كيف تسيّرين أمورك؟

– تنقضى. حسنة أو سيئة. والآن منذ مدة أيضًا أمى...

– فوق الحمل علاوة.. لا؟

وشرب. قالت خاتون:

– نعم.. منذ أن طردوها من ذلك البيت.

– معلوم.. ذاك الأفندى كان كثير التوقع؟

ضحك مرحب مع هذا الكلام بلا صوت. بقيت خاتون صامتة. مدَّ مرحب يده وسحب كيسًا آخر عن الصندوق، قطع خيطه، مزق الورق فوقه وسلمه بيد خاتون:

– هاك.. لك. قطعة قماش لثوب. مع قميص داخلى أسود.

مدت خاتون يدها وأخذتهما، شرب مرحب قدحًا آخر وقال، ورأسه لايزال مدلى إلى أسفل:

– لقد كنت أتمنى دائمًا أن أرى امرأة مثلك داخل قميص داخلى مثل هذا. اذهبى فالبسيه الآن.

– الآن؟

– نعم، اذهبى هناك فى الداخل.

– لا يصير، فيما بعد؟

– لا، الآن بالذات. أريد الآن.

تناولت خاتون القميص التحتى وذهبت إلى المختلى. قالت من داخل المختلى:

– لا تنظر إلىّ، ها!

– أفأنت طفلة؟

لم يجلس حتى دقيقة واحدة. نهض وذهب نحو الستارة وأزاح جانبها ونظر إلى داخل المختلى. كان المختلى مظلماً. ومع ذلك كان ممكناً رؤية جسد خاتون العارى. كان مثل قطعة من ضوء القمر. ضوء قمر غائم. كما لو يشع من وراء بقع سحاب. أراد أن يدخل، ولكنه أمسك.

قالت خاتون من داخل المختلى:

– أتأخذنى فى جولات معك؟

– لم لا آخذك؟ أيام الجمعة.

– أين؟ كرج؟

– أنا أحب فرح زاد أكثر.

– أتأخذنى إلى بى بى شهربانو(٧) أيضاً؟

– ونأخذك مرة إلى بى بى شهربانو أيضاً.

قالت خاتون:

– وبعد ذلك أرغب فى أن أشتغل فى أحد هذه المعامل. أتجد لى؟

– عملاً؟

خرجت خاتون وكان مرحب قد جلس فى مكانه قبل خروجها . كانت خاتون قد ألقت شادرها على كتفيها كى تخفى جسدها عن عينى مرحب. جلست. جذبها مرحب إليه وأمسك تحت إبطها وقبّل خدها . جمعت خاتون نفسها ، مثل قطة، فى حضنه وقالت مثل طفلة:

– إذا سألك أحدهم، أتقول إننى ذهبت؟

قال مرحب قريبًا من أذنها:

– أقول.

– وتقول لأمى أيضًا؟

– لم لا؟

قالت خاتون:

– بردتُ.

فقال مرحب:

– خريف. أتريدين أن تُنزلى فتيلة السراج؟

– أ .. و..م.

نهضت خاتون، أنزلت فتيلة السراج، تقدمت ووقفت قرب مرحب. أخذ مرحب الشادر عن كتفيها وسحبه إلى أسفل ثم عانقها .

هوامش الفصل - ٨ -

(١) آقا، لفظ احترام يعنى سيد. عندما تطلق بعد الاسم، ويكون الاسم الصغير لا اللقب هو المستعمل، فذلك يدل على رفع الكلفة أكثر مما يدل على الاحترام.

(٢) وحدة نقد ألغيت وبقى اسمها يطلق على بديلها: الريال.

(٣) الـ «يل»: جاكتة نسائية، تكون طويلة عادة.

(٤) ابن أبى طالب، الخليفة الراشدى الرابع والإمام الأول عند الشيعة.

(٥) العباس، ابن على، من زوجته البدوية أم البنين، والذى كان حامل راية أخيه الحسين فى واقعة كربلاء.

(٦) على بن الحسين، الملقب بالسجاد أيضاً.

(٧) ابنة آخر ملوك الفرس، التى أسرت أثناء فتح بلاد فارس، وكانت من نصيب الحسين بن على، الذى أنجب منها ابنه السجاد. وهى مدفونة فى مدينة «رى».

- ٩ -

ربما كان الوقت متأخراً، وربما لم يكن متأخراً. ما كانت بى بى تعلم ذلك ولا خاور. لم تكن خاتون قد عادت إلى البيت بعد. نشب بين بى بى وخاور فى المختلى عراك بسيط. كانت بى بى تتلوى على نفسها ومن بين سعالها تقذع لحفيدتها:

- غجرية، ذات الشبر الواحد. عديمة الأب. تعالى ضعى رأسك للموت. لقد أخرجت روحى.

تدق خاور الأرض بقدميها:

- لا أريد. لا أريد. لا يواتينى النوم. أبالقوة؟

قالت بى بى:

- لكننى مريضة فلا أستطيع أن أجاريك حتى الصباح فأقف على رجل واحدة! تعالى يا غجرية منزوعة السروال فنامى.

- لا أريد. لا أريد.

أعولت بى بى، التى كانت ازرقّت من سعالها الجاف:

– ليذلّك الله أكثر من هذا يا طفلة. لقد جففت دمي. أي تقصير وذنب اقترفت عند الله؟

قفزت وأمسكت فجأة خاور بغيظ. دقّتها على الفراش، سحبت اللحاف إلى فوق رأسها وانكتم صوت بكاء خاور تحت اللحاف.

كانت خاور تقترب شيئًا فشيئًا من إتمام عامها الرابع. كانت عيناها سوداوين ويختفي جبينها الصغير والبارز تحت شعرها الأجعد. منذ أن أودعت بعهدة بي بي، كانت في أكثر الأوقات غير مغسولة الوجه متلاصقة الأهداب ويعلو الوسخ ظاهر كفيها. وتلبس دائمًا ثوبًا طويلاً من الشيت فيه أوراد حمر مع جاكتة نصف عمر اشترتها لها أمها أول البرد من ميدان البوابة، تلبسها فوقه. كانت البُنيّة قد صارت، من الداخل، كسولاً مكتئبة متحججة. لأنها اعتادت بالإجبار أن تبقى دائمًا في البيت ومع جدتها. وكانت بي بي من جانبها متعبة ونافدة الصبر. لأنها اعتادت إجباراً أن تبقى دائمًا في البيت، مع حفيدتها. قبل هذا، إلى أن لم يكن الجو قد صار بهذه البرودة والجفاف، كانت تشد خاور إلى ظهرها وتخرج من البيت. إلى يافت آباد أو قلعة مُرغي[1] كي تشاهد خاور طيران الطيارات. وكانتا تذهبان أحيانًا أيضًا إلى باب المعمل وتقفان في طريق مرحب حتى يخرج ويقع بصره عليهما ويقترب منهما، فيسأل عن حالهما ويعطي خاور بعض الفكة كما يدس عملة ورقية في قبضة بي بي أيضًا. في مثل هذه الأوقات كانت بي بي وحفيدتها تسعدان وتودعان مرحبًا وتعودان. وفي بعض الأحيان أيضًا كان مرحب يُجلس خاور أمامه على أنبوبة الدراجة، يلف بها دورة ثم

يُنزلها عند بى بى، يرفع الشعر عن مقدم جبهتها بأصابع قبضته، يودعهما ويذهب. فى هذه الأواخر كانت بى بى وخاور كلاهما ترغبان أن يأتى مرحب إلى بيتهم أكثر. ولكن مرحبًا لم يكن يأتى أكثر من هذه المرة أو المرتين كل أسبوع. وجاء مرة وأخذهن جميعًا إلى بى بى شهربانو. وكان وعد خاور أن يأخذها فى السنة التالية إلى المسرح. قال: لا تزالين صغيرة. وقالت خاور: «طيب».

كانت مضت عدة ليال دون أن يأتى مرحب إلى البيت. وها قد ذهبت خاتون الآن – مع أنها لم تعلن وذهبت، إلا أن بى بى كانت تعلم – إليه. فى الليلة التى يتأخر فيها مرحب كانت خاتون يستولى عليها نفاد الصبر. مثل حمامة أكل الهر أليفها. يصير لها مزاج كلب وأخلاقه. لا يعود يمكن مناقشتها فى كلام. تضرب خاور، تصرخ بوجه أمها، تدعو الله على نفسها، وفى بعض الأحيان تتذرع بشىء ما وتبكى.

وقد صارت هذه الأيام بهذه الحال أيضًا. كانت أخلاق خاتون الكلبية قد أرهقت بى بى من جهة، وتحجج البُنيَة أيضًا من الجهة الأخرى. كما لا يمكن فى هذا الجو الخروج من البيت. هواء شهريار يقلب وجه الإنسان. وفيما عدا ذلك، فإن بى بى لا تعجبها حفيدتها كثيراً وفى أغلب الأحيان تكرهها. كانت بى بى تعتبر خاور بذر رجل ترك امرأته وبيته وهاجر إلى بلد غريب وعليها هى، بى بى، الآن أن تجمع فضلاته وتتدبر الأمور. وهاهى خاور أيضًا، التى كأنها صغيرة أرنب، ليس لها قرار ولا هدوء لحظة واحدة، ولا تتلهى بأى شىء أيضًا. تدق عقبيها بالأرض دائمًا وتقول: «خارجًا، نذهب خارجًا» وفى جو هذه الأيام؟!

أين يمكن الذهاب ثلاث ساعات والتسكع حول السكة الحديد وإراءتها الطيارات التى ترتفع فى السماء وتدور حول المدينة؟ ثم أنه ليس فى هذه الأنحاء بيت أو عشّ فيه أطفال يكونون زملاء لعب لها. كانت المنطقة قاعًا صفصفًا. منذ تلك الأيام حين أراد مختار أن يصفّ هذه اللبنات على بعضها كانت بى بى قد قالت له «أتريد أن تسلم ابنتى للذئاب والكلاب كى تمزقها؟» وكان مختار قد أجابها «أنت نفسك كنت تحرّضين أن صُفَّ لبنتين فوق بعضهما كى نضع رأسنا داخلهما، ولكن الآن تقولين هذا الكلام؟» وقد عاودت بى بى إطالة اللسان، ولكن مختارًا لم يسمع، بنى العش على أمل أن يأتى شخص آخر فينشئ حائطًا على مبعدة قريبة منه، ولكن أحدًا لم يُنِخ هناك. كانوا يقولون هى أرض حكومية. لا سند لها، وحتى إذا مرت مائة سنة فسيأخذونها ذات يوم. حتى العام الماضى كانت زرائب الأبقار إلى جانب النهر، ولكن الماء جرفها فأزالها وكانت بى بى تشكر الله على أن صهرها أقام بيته على المرتفع وإلا لكان السيل قد جرفه.

هذه الأيام، لم تعد بى بى تخرج بخاور إلا عندما كانت تذهب إلى يافت آباد كى تشترى لنفسها أربع حمصات[٢] أفيون. ويكون ذلك اضطرارًا. لا يمكنها أن تترك طفلاً بوزن قيراط واحد، وأنثى أيضًا، فى أمان الله فى الصحراء وتنصرف هى لشأنها. ولهذا كانت تلف خاور بالشادر، تشدها إلى ظهرها، تخرج بها وعندما تعود إلى البيت تكون يدا خاور ووجهها قد صارت كالبنجر من البرد. ومع كل هذا لم يكن صوت خاور يعلو. كانت تحتفظ بألمها لنفسها كى تخرج بها جدتها مرة

أخرى من البيت. والآن، منذ اليوم الذى صار مرحب يتردد فيه على بيتهم، كانت بى بى وخاور قد سحبتا موضعهما إلى المختلى. لأن مكان مرحب وخاتون داخل الغرفة كان مكان خاتون ومختار نفسه حين كانا ينامان. أزاحت خاور حاشية اللحاف عن عينيها وأخذت تراقب، من تحت جفونها، جدتها. وكانت بى بى، مولية إياها ظهرها، جالسة تحت أدنى فراشهما وقد عمّرت چبقها، تنفخ وقد ملأت المختلى دخانًا. كانت خاور تدرى أن بى بى عندما يتولاها السعال لا تهدأ ما لم تدخن چبقًا. وتدرى أن الماء يتجمع، بعد السعال، فى حدقتى عينيها فتجفف هى ماء عينيها بذيل چارقدها. كانت خاور تفكر فى أن تخرج من المختلى، لأن دخان الچبق يحرق عينيها ويضيّق أنفاسها. كانت تتصور مع نفسها أن السقف قد هبط إلى أدنى ومازال يوالى الهبوط. بدا المختلى أضيق من كل يوم فى نظرها وأحست باللحاف الذى فوقها أثقل. كانت تتصور المدفأة تدخن. كان الدخان كثيراً جداً وأحست خاور بالهواء مثل بطانية سوداء تهبط كى تسقط على وجهها فتخنقها. دفعت اللحاف بهدوء، خرجت حتى صدرها، جمعت ساقيها، وضمتهما، حتى انزاح اللحاف عنها، زحفت إلى عند فتحة المختلى، أزاحت زاوية الستارة بطيئًا وأطلقت نفسها إلى الغرفة. إن لم تثر صخبًا يمكنها أن تذهب نحو مكان أمها فتخفى نفسها بين اللحاف الأحمر النظيف. ولكن لم يتدبر ذلك؛ علقت قدمها بالصينية جنب باب المختلى، فتدحرجت الصينية وانقلبت الأقداح والصحون، فأزاحت بى بى الستارة، جاءت إلى الغرفة، وتولت خاور بالسباب البذىء ولزمت الوقوف، تعبة حائرة، جنب الستارة. كان للعجوز شكل مجهَد. أكثر إجهاداً من أى وقت آخر. كان وجهها كبيراً وعريضًا،

جلد وجهها أزرق وعيناها دقيقتان وغائرتان، وقد ورم تحت عينيها، وتساقطت أسنانها بلا انتظام وتدلت وجنتاها مثل كفى يدين. نفرت قبضة شعر رمادى من تحت منديل رأسها وكانت تتدلى كأذن فيل إلى جانب وجهها. أصيب ظهرها بانحناء، بحيث صارت يداها تبلغان ركبتيها. كان قدماها الأسودان مثل قدح مجرفة ملتصقين بالأرض. كان سروالها مخططًا وقد لبست ثوبًا طويلاً وبنيًا تحت جاكتة ضباط قديمة – لقد أعطوها هذه الجاكتة فى المكان الذى كانت تشتغل فيه – والأوراد المعلقة بعنقها على منخفض جؤجؤها تنوس إلى هذا الجانب وذاك. استولى عليها السعال مرة أخرى فألصقت يديها بركبتيها مثل سرطانين، وانحنت إلى الأمام وأقذعت:

– يا بذر الحرام ابنة الزنا، تعالى اطرحى رأسك للموت. الوقت منتصف الليل. عسى الله أن يأخذك منا.

كانت بى بى تعرف أن عليها أن تنيم خاور قبل أن تعود خاتون إلى البيت. كانت خاتون قد قرأت فى أذن أمها ألف مرة أنها لا تريد أن تقع عينا خاور ليلاً على وجه مرحب. لأنها كلما كانت ترى مرحبًا كانت تركض إليه، تلتصق به وتريد أن تعرف كل شىء. «أين كنت؟ ما شغلك الآن؟ ماذا جلبت لى؟ فعلت بى بى اليوم هذا. خاتون هكذا ذهبت. أنا جئت هكذا. خرب فأرى. اندلق النفط على البساط. لماذا تأخرتَ؟ لماذا جئتَ مبكرًا؟». ولهذا كانت بى بى تريد أن تنيم خاور مهما كلف الأمر. لأنها لم تكن لها طاقة على نقّ ونقار ابنتها. خاصة فى هذه الأيام حين ينفتح فمها مثل بوابة وترمى الإنسان بكل كلام كبير يأتى على لسانها.

ولابد أن تصير هكذا! فالآن لها مرحب! تمرح وتسجع. لم تعد عينها ترى شيئًا آخر أو مكانًا آخر. وحتى إذا رأت فلم يكن يعنى لها شيئًا. وسواء كان مرحب موجوداً أو غير موجود: إذا كان موجوداً، فإن خاتون لم تكن ترى، من فرحتها، شيئًا أو أحداً آخر، وإن لم يكن موجوداً فلم تكن تهوى أحداً. فى بضعة الأيام هذه التى غابها مرحب استولت على خاتون حالٌ صار معها لا يمكن تبادل الحديث وإياها. تصرخ وتترك البيت. وهاهى الآن بعد أن ضربت خاور وجبةً وأطلقت صرخة وخرجت، لم تكن قد عادت إلى البيت ولابد من أنها كانت وراء مرحب تحشر رأسها فى كل جحر. مهما يكن فعلى بى بى أن تنيم خاور. لأنه يمكن فى كل لحظة أن تأتى خاتون بمرحب معها. قالت برقة لخاور:

- هيا، تعالى نامى يا عزيزتى.

تراجعت خاور وقالت:

- لا أريد، لا أريد. أصلاً، أنا لا أريدك. أنت كالأفعى، كالأفعى. تشخرين. تشخرين.

كانت خاور تلف حول الغرفة وتغنى «لا أريد. لا أريدك. لا أريدك». ولا تزال بى بى تعبى وعصبية تقف كقطعة فحش جنب الستارة وتحدق بعينين مثل مسمارين إلى خاور. وقفت خاور، ثبتت نظرها على بى بى، أخرجت لسانها، ضبطته بين أسنانها وأرته لجدتها. كانت بى بى لا تزال تقف ساكنة تنظر إلى حفيدتها. أدخلت خاور لسانها وقالت:

- إن استطعت أن تمسكينى أعطك. مائة تومان. هيا اركضى.

ولكن بى بى كانت لاتزال واقفة. ساكنة وملأى غيظًا. وتنظر إلى خاور. على نحو وكأنها تريد أن تصطاد فراشة.

– هيا.. أرأيت أنك لا تقدرين؟.. رأيت؟.. رأيت؟

واقتربت من العجوز وقالت:

– بخ.. خ.. خ خ خ..

ألقت بى بى بنفسها مثل شبكة فوقها، ولكن خاور انسلت من تحت إبطها، تدحرجت على البساط، ضحكت مقهقهة، جمعت نفسها، قفزت عن مكانها ومضت إلى جنب الجدار ونظرت إلى جدتها، التى كانت انفرشت مثل عنكبوت على الأرض، وضحكت مرة أخرى:

– أرأيت؟ أرأيت أنك لا تقدرين؟

ذهبت نحو الصندوق، أخذت شادر جدتها «نصف عمر»، ألقته على رأسها، أضاعت نفسها داخل الشادر وأطّرت وجهها به بإحكام ثم مدت قدمًا نحو جدتها وقالت:

– تعالى خ.. تعالى خ.. تعالى خ.. صيرى الآن كلبى وأنا هرة. أنت.. تعالى خ.. تعالى خ.. تعالى خ.. تعالى أمسكينى.. هيا تعالى.. تعالى القفى ساقى..

مدت ساقها نحو العجوز:

– هيا القفى ساقى.. تناوليه. عضيه.

جمعت بى بى نفسها عن الأرض، أخرجت إصبع قدمها من شق ذيل ثوبها حيث كان علق وأخذت تدور فى الغرفة وراء خاور. كان دمها قد غلى حقًا الآن:

- يا بذر الكلب بالحرام.. تسخرين منى؟ سأريك الآن. الآن. سأجعلك الآن تفهمين يا امرأة السينمات.

كانت خاور مسرورة. تلف حول الغرفة وتضحك. تقف، تركض. تجر نفسها إلى قرب بى بى ثم تهرب منها. ومادامت العجوز ذاهلة كانت تنط وتقفز. كان لعملهما حكم لعب القط والفأر. أخذت بى بى تلهث، استولى عليها السعال، انحنت فوق ساقيها، جلست وقالت بعجز:

- اتركينى بحالى وتعالى نامى يا بذر الحرام . تعالى نامى يا سليطة . تعالى . تعالى عسى الله أن يصيبك سهم من الغيب فى كبدك. تعالى فقد قتلتِنى. الآن ستأتى أمك القطة المتوحشة وتفرغ صراخها على رأسى تتصورنى تركتك صاحية عمداً يا جروة. تعالى نامى...

فقالت خاور:

- لا أنام. أنا أصلاً لا أنام جنبك.

- طيب أنا أنام هنا واذهبى أنت إلى الداخل.

- أنا أصلاً لا أنام فى المختلى. فيه جن.

- حسنًا جدا، سأجلب فراشك إلى قرب باب المختلى.

- أين تنامين أنت إذن؟

– أجىء أنا أيضًا قربك كى لا تخافى .

– لا أصلاً لا أنام. إذن يجب أن تذهبى فتنامى فى المجاز.

– ماذا؟ فى المجاز؟ فى هذا الهواء أذهب فأنام فى المجاز؟ وماذا أيضًا؟

دقت خاور عقبها بالأرض:

– أنا أصلاً أخاف. أخاف.

– تعالى ضعى رأسك ونامى أيتها البنت المقطوعة . مم تخافين؟

– أنا أخاف... أخاف منك.. أخاف.

اغتاظت بى بى أكثر فوثبت نحو خاور:

– تخافين منى؟ منى أنا التى كبّرتك، أيتها الوقحة السليطة؟ ماذا عملت لك كى تخافى منى يا ذات الشبر الواحد؟ ها؟ أفلم أغسل خرقك؟ أفلم أغسلك وأنشفك؟ هل علقتك فى بئر؟ ماذا فعلت لك؟ ها؟

هذه المرة خافت خاور من قلبها، وزحفت، كالقطة، إلى تحت «الكرسى». كانوا قد أنزلوا «الكرسى» من فوق السطح كى يضعوه شيئًا فشيئًا فى مكانه ويشعلوا نارًا تحته ويمدوا اللحاف فوقه. ركعت بى بى إلى جانب «الكرسى» ومدت يدها، ككماشة حديد، نحو خاور. أينما تمسك هذه الأصابع بخاور ستلتصق بها كما القراد وتسحبها إلى خارج «الكرسى». ولكن خاور كانت قد لملمت نفسها، وجمعتها، وانسحبت

إلى جنب الجدار، وجلست على ركبتيها وخمشت ظاهر كفى جدتها. تخدَّش ظاهر كفى بى بى، خافت، سحبت نفسها عن «الكرسى» وأقذعت:

- سليطة! سليطة! سليطة. اخرجى يا سليطة لا تلعبى لهذا الحد. لقد جففت دمى. عسى الله يضع حرقتك فى قلب أمك! اخرجى. الآن ستأتى أمك فتعاركنا.. انظرى إليها هه! التصقت هناك كالوزغ.. تعالى.. عزيزتى.. تعالى.

استولى السعال على بى بى، انطوت على صدرها، جلست متكورة وبصقت دمًا. نظرت خاور إلى جدتها، كان الدمع قد تجمع فى عينى العجوز الغائرتين؛ تقطب وجه خاور الصغير، امتدت غضون فى وسط جبينها، صغرت عيناها واحترق فؤادها على بى بى.

جاء صوت باب البيت. كانت خاتون أرتجت الباب من الداخل وجاءت إلى الغرفة. كان البرد قد صغَرها. ذهبت رأسًا إلى المدفأة جنب الحائط. جلست وألصقت نفسها بالحرارة. لم تكن تقول شيئًا. ولا كأن ثمة آخرين فى البيت أيضًا. انسلت خاور بهدوء إلى جانبها، ونهضت بى بى فمسحت زاويتى عينيها. قالت خاتون:

- برد جاف. ينبغى أن نشغل «الكرسى» بعد الآن. ربما هطل جليد أيضًا.

تكلمت بى بى:

- هـ.. هو.. م.. ينبغى أن نشعل نارًا. فكرى أولاً بوقودها.. يجب أن نفكر فيه شيئًا.. فشيئًا.. أنت.. أرأيته؟.. أقصد مرحبًا؟

قالت خاتون:

- لا، لم أره.

- إلى أين وصلتِ؟

- ذهبت إلى يافت آباد، إلى بيت صاحبه علي. أبو هذا أيضًا ينازع. مهتمون به الآن. الله يعلم متى ينقطع نفَسه، نفَس؟ ماذا أقول؟! منذ الآن هو يسحب نفَسًا واحدًا من كل سحبتين! أنا لم أستطع البقاء أصلاً. نهضت وجئت.

سألت بى بى:

- وماذا عنه؟ مرحب؟ ماذا كان يقول عنه؟ ألم يقل أين أخفى نفسه؟

- لم تتح فرصة طويلة للحديث. قال فقط إنهم أخرجوا عددًا من المعمل، وأن مرحبًا كان من بينهم. لم يقل شيئًا آخر بعد.

- أفلم يره مؤخرًا؟

- لم يُتَح أن أسأل. ألم تسمعي؟ كان أبوه ينازع!

قالت بى بى مع نفسها: «كنت أدرى من الأول أن ليس لهذا العمل عاقبة. كنت أدرى أنه سيتركنا. كنت أدرى أنه سيتركنا ويمضى لشأنه. كان بالنسبة لِى أظهر من النهار. لو كان يريد الاحتفاظ بنا، لو كان يريد أن يصير ظلاً فوق الرأس لنا، لو كان يريد أن تكون لعمله آخرة ونتيجة لكان، فى ذلك اليوم الذى ذهبنا فيه جميعًا إلى بى بى شهربانو، دخل الحرم وألقى كلمة قسم أنه لن يترك ابنتى دون تدبير، لكان جاء وحرك

شفته. ما كان سيصير؟ قلت له إن التوضؤ لا يحتاج إلى جهد، اسكب قبضة ماء على يديك وادخل إلى الحرم وأقسم. قلت ، ولكنه لم يجب. لم يقل شيئًا ، ونهض فذهب ووقف على الـ بل. وأى يوم كان! غائم، عبوس، قابض للفؤاد. كنا جميعًا كالغرباء. همدنا . هناك بالذات أيقنت أنه لا يريد الاحتفاظ بابنتى. فهمت. فهمت. لم يعد حتى الليل. وعندما حلّ الليل، جاء فنام جنب خاتون. فى ذلك الوقت صوتت السماء. رعد. ثم انصبّ المطر. وأى مطر كان؟! فى ذلك السيل إياه جرف الماء زرائب البقر القديمة. لم يواتنى النوم حتى الصباح. بقيت على الدوام أهدئ هذه البُنيّة فى حضنى. من يفهم هذه الأمور؟ من؟ تلك الليلة بقيت أسأل نفسى حتى الصباح لماذا لم يقسم؟ لماذا إذن لم يقسم؟ والآن أفهم. أدرك الآن لماذا لم يقسم، لكى متى ما رغب يتركنا ويمضى. يترك ويروح. وأول الشتاء أيضًا!».

– أفهمتِ لِمَ لم يقسم؟ لِمَ لم يقسم؟

صرخت خاتون بأمها:

– أتمسكين لسانك دقيقة أم لا؟

لزمت بى بى الصمت. ثم قالت:

– سأهيئ لك الآن شايًا.

لم تقل خاتون شيئًا . ألقت شادرها وزحفت تحت اللحاف. سحبت اللحاف على وجهها كى لا ترى ابنتُها وأمُّها حالَها وهيئتها. لربما امتلأ

حلقومها غصة ولن تتمكن أن تمنع شفتيهـا من الارتجاف! ولكن خاور لم تتحمل. زحفت إلى جانب أمها وقالت:

- أنيمينى الليلة عندك.

أفسحت خاتون لابنتها مكانًا فى الفـراش واحتضنتهـا. نهضت بى بى، وفيما راحت تبحث عن وعاء الشاى بكت مع نفسها:

- كنـت أدرى. كنت أدرى لِمَ لـم يقسـم. كنت أدرى. ولكـن لِمَ لم يقسم؟ لِمَ لم يقسم؟

هوامش الفصل - ٩ -

(١) ضاحية جنوبى طهران، كان يقع فيها المطار القديم.

(٢) الحمصة: وحدة وزن تعادل خُمس غرام.

- ١٠ -

وضع مختار عكازتيه جانبًا، حشر يديه تحت إبطيه وجلس، جنب سكتى الحديد، مقابل منزله. أنزل طاقيته الوسخة إلى قرب شحمتى أذنيه، أدخل خطمه فى ياقته وراح يرتجف مثل غصن انشرخ وسقط من مصفاة. كان وجهه متعبًا قلقًا ومهمومًا. وقد ملأت لحيته، كالشوك، وجهه واختلطت مع شعر صدغيه وقفاه. برزت وجنتاه مثل قطعتى عظم سوداوين من بين لحيته ودفعتا عينيه إلى داخل حدقتيهما. كانت خرقة عتيقة بمربعات، يزدية[١]، مشدودة إلى كتفه وقد عقد طرفيها فوق قفص صدره، ولكنه كان لايزال يرتجف. كأن يداً أمسكته بشدة وراحت تهزه.

سحب يده من تحت إبطه، مسح الماء الذى كان يقطر من أرنبة أنفه بكمه، وقبل أن يلسع البرد ظاهر كفه أخفاها تحت إبطه ودفن ذقنه داخل الياقة المدهنة وغير المغسولة لجاكتته السوداء، وخاط عينيه ببصيص نافذة بيته الصغيرة. كان بيته، على الجانب الآخر من السكة الحديد - على بعد صرخة من الطريق - قد لوّث الجليد كما تلوث بقعةٌ ذيلَ قميص أبيض. كان البيت صغيراً، وحيداً، ومنحنيًا. ومن النافذة داخل حائطه تنتشر قبضة نور نحيفة إلى الخارج. كانت جدران البيت لاتزال على حالها واطئة، ولم يكن الجليد فوق السطح كنس بعد.

هذه هى الليلة الثالث عشرة التى يأتى فيها مختار منذ الغروب ـ منذ أن يختلط الظلام بالنور - إلى فوق السكة الحديد، يضع عكازتيه جنبه، يحشر يديه تحت إبطيه، هيَّأ مكانًا لفكه داخل ياقته ويخيط عينيه بنافذة بيته الصغيرة، التى تسرب فى قعر الليل بصيصًا كما عين مريض. كانت عينه تحرقه، والماء يقطر من أهدابه، ولكنه كان جالسًا على ذلك النحو، كالمطلسمين، ولا يرفع عينه عن بيته. يجلس، يجلس، يجلس حتى يخبو ضوء النافذة المتعب، يموت، وينزل الكلب الأسود عن السطح، وتزحف ظلمة الليل إلى كل مكان، وعندئذ ينهض عن مكانه، يولى البيت ظهره وينطلق نحو مقهى مشير.

رأى مختار أن شخصين ابتعدا عن الجادة الأصلية، وسلكا الطريق الضيق الذى يمر من أمام باب بيته ويضيع فى الزرائب الخربة. امرأة ورجل. كانت المرأة تضع على رأسها شادرًا، شادر كل ليلة نفسه. وكان الرجل يعتمر غطاء رأس. كانت المرأة تتقدم وكأنها تخشى شيئًا. تلتفت وتنظر وراءها على نحو يكشف أنها خائفة من مكان ما أو شىء ما. وكيف أخفت نفسها فى شادرها وطأطأت رأسها! كان الرجل بعيدًا عنها، ولكنه يخطو فى إثرها قدمًا بقدم. كان معطفه يبلغ أدنى ركبتيه. لظهره تحدُّب. لهذا يبدو أحدب قد خفض رأسه. وقد غرز أيضًا يديه فى جيبيه وكان يطيّر برأس حذائه الجليد فوق الطريق. رجل كل ليلة إياه. وكم يبدو متعبًا أيضًا وكيف يسعى ليتستر على خوفه بطريقة سيره! وقفت المرأة أمام باب البيت وأخفى الرجل نفسه على بعد بضع خطوات، جنب حائط الخربة، وبقى ينتظر مضطربًا. وضعت المرأة يدها على حلقة الباب.

اقترب الرجل منها. ظهر رجال آخرون واحداً فواحد من وراء الخربة، ازداد الرجال، كلهم يلبسون معاطف طويلة وأغطية رأس نوات حوافّ، اجتمعوا، صاروا حشداً ووقفوا أمام باب البيت وضغطوا، انفتح الباب تحت الضغط، سقطت المرأة إلى الداخل، وهجم الرجال كقطيع بقر على البيت وارتفع الضجيج، وانكتم الضجيج.

– حقًا؟ ألا أرى حلماً؟ أترى عيناى صحيحاً؟ لا. لا. صرت أتخيل. إذ ماذا يفعل كل هؤلاء الناس هناك؟ يا إلهى، لماذا ورم دماغى؟! دائماً أرى هؤلاء؟!

اهتز مختار، رفع عكازتيه، وضعهما تحت إبطيه ونهض. لكنه لم يذهب. بقى. فكر: «ماذا أفعل الآن؟ مرة أخرى لا أذهب؟».

ألقى «سوختِه»، الكلب الأسود، نفسه عن حافة السطح إلى أسفل ودخل من شق الباب. مرة أخرى لم يستطع مختار أن يتحرك من مكانه. فكر: «ماذا أفعل الآن؟ لا أذهب أيضاً؟».

انطلق. ولكن ليس نحو بيته. أخذ طريق الخط وانطلق على عكازتيه نحو حجرة المحوِّل. كانت زجاجة حجرته الصغيرة لاتزال مضيئة. فهو صاح إذن. جر مختار نفسه، بلا صوت، إلى وراء جدار الحجرة وألصق عينيه بالزجاجة الكدرة المغبرة. كان المحوِّل العجوز يخيط تحت إبط معطفه ويغنى متمتماً: «وردة، عندى وردة تغنينى عن بستان. يا بستانى، أيها البستانى افتح الباب فلستُ قاطف زهور. وردة، عندى وردة تغنينى عن بستان».

كانت أرنبة أنف مختار ملتصقة بالزجاجة، أحس العجوز بوجوده، حد نظره وقال:

- ها نعم؟ أمرك (...) أجنّي؟ بسم الله[٢] فثمة باب. تعال من.. هذه الجهة. تعال لأرَ.

انفتح فم مختار وانغلق واهتز. أشار المحوِّل له بيده وقال:

- تعال ادخل ماذا تريد؟

لف مختار حول الحائط. دخل من الباب الصغير وبقى حائراً. سأله المحوِّل:

- طيب؟ وبعد ذلك؟

- أنا.. أنا..

- قل قولك..

- أنا .. ليس.. أنا هنا.. أنا هنا..

قال العجوز:

- لابد أنك تريد أن تتدفأ؟ حسناً، ها هو «الكرسى».. تفضل.. غريب عن هنا؟

لم يكن مختار قادراً على الكلام. ومع ذلك كان يسعى ليتمكن من أن يقول شيئًا للمحوّل. أراد أن يسأل شيئًا عن بيته.. عن هذا البيت وراء السكة. ولكن لسانه لم يكن لينفتح. قال الشيخ:

- إذا أردت أن تدفأ اجلس قرب المنقل. ولكن إن أردت أن تنام.. هنا ، فأنت ترى أن المكان ضيق جداً . لشخص واحد.

قال مختار بعد لأى:

- هنا.. هنا.. فى هذه الأنحاء..

قال المحول:

- توجد.. توجد مقهى.. على الجانب الآخر من السكة.. ذلك الطرف..

فقال مختار:

- لا.. شىء آخر.. شىء آخر..

اقتلعت صافرة القطار الشيخ من مكانه، حمل فانوسه وخرج من الباب. نظر مختار إلى ذهابه، بقى لحظة ثم، من دون أن يدرى ما يفعل، خرج وضاع فى الليل.

هوامش الفصل - ١٠ -

(١) المنديل اليزدى يحاك بنول يدوى من حرير خام، يكون أحمر غامق اللون مربعًا بالأسود، فى العادة. وهو كبير المساحة يستعمل لأغراض متعددة.

(٢) يعنى : تفضل.

- ١١ -

قريبًا من باب المعمل، وقف مرحب واتكأ على أنبوب دراجته. كان في زاوية شفتيه عقب سيجارة وطاقيته السَنْغْسَرية(١) الصوف مسحوبة إلى فوق جبينه. بعد بضع دقائق يصوت بوق المعمل ويتوقف العمال عن العمل ويخرجون. ولكن حتى يخرجوا، ويجد مرحب عليًا بينهم، يتكاسلون لحظات. ولكن بال مرحب لم يكن خاليًا جدًا أيضًا. كانت عنده أمور يشغل نفسه بالتفكير فيها. أحدها هذه الشمس التي اشتبكت بالجليد وراحت تذيبه فيها. تأخذه الشمس إلى أول يوم جاء فيه من جو الشمال المتلفع بالغيم إلى هنا، وإذ مدّ خطوة خارج المقهى، كما شيء يولد من جديد، غلبه الحماس. تمر الآن سنة على ذلك. ولكن صباح ذلك اليوم لم يكن على الأرض جليد. كان مشمسًا وباردًا. فكر مرحب: «سنة أخرى. مرت سنة؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا جرى؟ لا شيء بلا شيء. ولكنها مع ذلك لم تكن سيئة جدًا. لم تكن خالية كثيرًا. كانت هذه أيضًا فصلاً رأيته كي أرى ما يكون بعده؟ سنة أخرى بعد سنة أخرى. وبعدها أخيرًا أما أنـ... هذه الدنيا، أو أنها تنـ...ى .. ليكن. دوري كي ندور. سيصير أمر ما أخيرًا. أقع على الأرض، أو أضرب الأرض. ولكن ما أصنع لهاتهِ؟ هاته الإناث الثلاث؟ أي حبل شددت بيدي وساقي! لا لا!».

انفتح باب المعمل، خارج العمال زرافات ومروا من جانب مرحب. لوح له أولئك الذين يعرفونه عن كثب بأيديهم أو هزوا له رءوسهم وهم يمرون، وكان هو أيضًا يحيى كلاً منهم على نحو ما ويلوح بيده فى الهواء. وخرج على آخر الجميع. كان جبينه لا يزال مبتلاً بالماء الذى كان غسل به وجهه. كان قد خلع نظارته وهو الآن ينظفها بمنديله، كان رأسه مطأطأ. لم يقــل مرحب فى البدء شيئًا. انتظر كى يرى أينتبه له أم لا؟ لا، لو أن مرحبًا لم يكن قال شيئًا، فلم يكن على شخصًا يتطلع إلى ما حوله. ولهذا ناداه:

- الله يساعدك، هوْى..

استدار على ونظر إلى صاحبه:

- ها؟ واقف هنا؟

اتجه مرحب نحوه:

- كيف حالك؟

- حى.. وأنت؟

- أنا.. أنا أيضًا لست بسوء.

سارا كتفًا لكتف. قال على:

- كنت ذهبت الظهر إلى المكتب. كأننى كنت أدق مسمارًا فى سندان. أوشكت أن أقــع على يديه ورجليــه. ولكن مهما فعــلت لم يرض. قال: إن أعدتُه ينفتح وجه العمال الآخرين.

قال مرحب:

- ليتك لم تذهب، لأننى لم أعد أريد العودة.

فقال على:

- فكرت أنه يمكن.

ضحك مرحب بلا صوت وقال:

- منذ أن أذكر كنت عاملاً. ولقد اشتغلت فى أعمال بعدد شعر رأسى من تعددها وتنوعها؛ ولكننى الآن لا أعرف شغلاً بشكل مضبوط، ولا يدى مشغولة في مكان ما. مرة أخرى الحساء نفس الحساء والطاسة نفس الطاسة[٢].

قال على:

- ليتك تمكنت أن تأخذ منهم، فى الأقل، شهادة رضا. وإلا لن يفسحوا لك مجال العمل فى مكان آخر.

- لم يعطوا.

- أدرى. لأن تهمتكم كانت ثقيلة. تدرى أن كل من يلصقون به تهمة كهذه فمن الصعب بعدئذ أن يعطوه شغلاً فى مكان آخر.

- ولكننى لم أكن متهماً!

- ليكن. مجرد كونك لففت مع أولئك فقد تمكنوا أن يعدوا لك إضبارة.

قال مرحب:

- دعه بعد. مهما يكن فقد انتهى. أنا ذاهب.

حار على:

- أين؟

– أينما يكون. ولربما ذهبت أيضًا نحو الكويت. سمعت أن الشغل هناك كثير. جئت كي أودعك.

فقال على بهدوء:

– ليتك لا تذهب.. سأصير غريبًا جدًا.. الآن، ألا يمكن ألا تذهب؟ ستجد أخيرًا عملاً ما، أنا نفسى سأبحث. وبعدئذ إذ يموت أبى، ننظف الغرفة ونعدها، ندهنها ونسكن فيها كلانا. وليس لخالتى شأن بنا، تقيم فى تلك الغرفة جنب السلم.

قال مرحب:

– لا يا صاحبى، هذا غير ممكن.

قال على:

– إذن فقد ورطك أقرباؤك ومعارفك هؤلاء. ورطوك، لا؟

– هيا، لقد صار.. لا يمكن ألا يصير. مهما يكن المرء لا مباليًا، فهو متصل بمكان ما من هذه الدنيا. الحسن فى الأمر هذا، والسيئ فيه هذا أيضًا. ولكننى لا أتكدر.

– لأنهم كل يوم يأخذون منك فأنت تهرب منهم؟

– لا، ليس من هذا. لو كانت حالى ميسورة ما كنت لأحمل همًا. أنا مستاء لأننى أدرى أن البعض يعتمد علىَّ وأننى لا أستطيع أن أتحمل عبئهم كما يجب. منزعج من هذا. لا أستطيع تحمل خزى هذا الشىء. وهؤلاء الغدارون أيضًا الذين ألقوا بنا خارج هذا الباب فطار أجرنا التافه من يدنا!

لزم على الصمت برهة، ثم قال:

– مادامت إليتك قد ارتبطت بمكان، ما كان لك أن تطيل لسانك!

قال مرحب:

- لقد أطلت لسانى على كل حال!

سأل على:

- كيف وضع جيبك الآن؟

- فى قعره وأطـرافه، يمكن العثـــور على بضعة قرانات بعد.. والآن أيضًا.. حقًا أتدرى؟ جئت أبيعك هذه الدراجة. لا بمعنى البيع.. فى الواقع أودعـهـا عندك. لأن قلبى لا يطاوعنى أن تقع فى يد غـريب. أتأسف. أريدها أن تكون فى يد من يحافظ عليها جيداً. مثلى. لقد تآلفت مع هذه الدراجة.. كأخ. مثلك. أتمنى أن تُعنى بها جيداً.

- ولكن... لكن.. ليس عندى ثمنها كى أعطيكه الآن!

- لا أريد ثمنها.

- لا، هكذا لا يمكن. لا آخذها. إلا إذا تدبرتُ لك.

- طيب حسنًا، مهما كان ما يتوفر عندك أعطنيه. أجرة سيارة توصلنى إلى مكان ما.. والآن تعال اجلس فى الأمام كى نركبها معًا مرة أخرى. للذكرى. فلربما لن يرى أحدنا الآخر مرة أخرى! هى الدنيا. الدنيا!

تقدم على وهيأ مكانه فى مقدم الدراجة. وضع مرحب رجله على الدواسة، ركب وراح يدرج بكل طاقة. قال على:

- ما الأمر؟ اهدأ! ثمة سيارة تأتى من أمام.

سأل مرحب:

- تذهب إلى البيت؟

- نعم أذهب لأرى ما جرى.

أوصله مرحب إلى البيت. انسل على من فوق الأنبوب وقال:

- ألا تأتى إلى البيت؟

- لا ، سآتى آخر الليل كى آخذ حقيبة ظهرى وبطانيتى وأذهب أقف عند رأس الخط.

- ليلاً؟

- نعم.. والآن أيضاً أفكر فى أن أذهب لأسكر.

قال على:

- فلأذهب إذن أُعدُّ لك مالاً.

قال مرحب:

- هاك ، خذ هذه الدراجة أيضاً. هى لك الآن.

هوامش الفصل - ١١ -

(١) نسبة إلى سنغسر، مدينة فى الشمال.

(٢) مثل سائر، والمعنى واضح.

- ١٢ -

فزّاعة فى الجليد. كان مختار واقفًا على دولابى عكازتيه. كما لو أنه مزروع فى الأرض. جافًا يابسًا. غرس رأسه فى ياقة جاكتته، أغاص يديه تحت إبطيه، أولى الريح ظهره ووقف باتجاه بيته: «بيتى؟ لا، ليس معلومًا على وجه الدقة إن كان هذا البيت بيتى». لم يكن يريد أن يصدق. كلا، إن بيت مختار ليس هنا أصلاً. أفلم يكن قد بنى بيته على مرتفع وجنب زرائب البقر؟ فأين الزرائب الآن إذن؟ كلا، لم يكن مختار قد فقد حواسه. لماذا إذن يتهيأ له فى كل ليلة، كلا: يرى بأم عينيه هاتين، أن رجالاً يترددون على بيته؟ ولماذا كل ليلة؟ كان ينوى أن ينطلق ويذهب فيضرب نفسه بالباب. ولماذا لا يستطيع؟ يخطو بضع خطوات ويبقى فى مكانه. لا تتقدم ساقاه. لم يكن ليرى فى نفسه الجرأة على القيام بذلك. كان يحس أنه تغير بشكل كبير. كان يردد مع نفسه: «يعنى أإلى هذا الحد صرت عاجزًا؟».

إلى ما قبل سفره، لو كانت الريح توصل لمسامعه أن خاتون رامقت ديكًا لكان يُنزل مخها إلى فمها بمطرقة ثقيلة. ولكن الآن، ليست عنده الجرأة لتصديق أى شىء. لم يكن يريد أن يصدق أن بيته هناك، لم يكن

يريد أن يصدق أن بعض الناس يذهبون إلى بيته. لم يكن ناس يذهبون إلى بيته أصلاً. لم يكن أحد يذهب. لا يذهب أحد: «أنا أتخيل لنفسى». إنها، تلك المرأة، تلك التى لفت نفسها فى شادرها وكانت تتجه قبل نصف ساعة إلى البيت، لم تكن زوجته. لم يكن يصدق أنها كانت خاتون. كان مختار واثقًا من أن خاتون لا يمكن أن تكون امرأة من هذا النوع. أى نوع؟ هو أيضًا لم يكن يفهم هذا جيداً. كلا، لابد أنها كانت امرأة أخرى. كان مختار يتمنى أن يتخيل أنه صار يتهيأ له. كان يتمنى أن يصدق أن كل شىء يجرى كما فى السابق. لم يتبدل شىء قط. لا. لم يتبدل. كان يريد أن يحمل نفسه على التصديق بأنه عطل نفسه وعوقها بلا طائل. بلا طائل. لم يقع شىء قط.

ومع ذلك كله لم يكن يدرى لماذا لا يستطيع أن يبعد نظره عن البيت. كان قد تيبس من البرد والخُمار ولكنه ما كان ليتحرك من مكانه؟ لم يكن يقدر أن يتحرك. كأنه لم يكن يدرك أن عظامه تجمدت. كان عنده شك. وكان هذا، يتآكله مثل السم. كل ما كان فكر فيه مع نفسه حتى الآن ورردده لنفسه أحيانًا، بلا إرادة، لم يكن يقينًا بالنسبة له. وإلا، فكيف يمكن ألا يكون هذا البيت بيته؟ ولكن فؤاده يريده ألا يكون. كان يتمنى ألا تكون هذه المرأة امرأته. كان فؤاده يرغب فى ألا يكون له بيت هنا. ويرغب فؤاده ألا يكون هو فوق سطح الأرض: "ليت الكوسج قد قطعنى من الوسط إلى نصفين".

دارت عربة من الجادة الأصلية، عبرت من تحت الجسر وذهبت نحو بيت مختار. وقفت قريبًا من باب البيت، ترجل رجل - ربما شاب -

بيده حقيبة ظهر وشيء ما على كتفه، من العربة، ترنح وأوكأ نفسه على بدن العـــربة، ترك الأجـرة في كف الحـوذي وانفك عن العـربة. أدار الحوذي، الذي كان قد تجعد في مكانه مثل قطعة جلد، رأس الحصان ورجع على الطريق الذي جاء منه. أراد مختار أن يتصدى للعربة، ولكنه لم يستطع. لم يستطع أن يرفع عينه عن باب بيته! أكان هذا كله خيالاً؟ لا. كان حتى صوت عجلتي العربة وحوافر الحصان في أذنه. كان كل شيء مرئيًا. كان يمكنك أن تمسه وتتحسسه. ولهذا فهو أيضًا، الواقف الآن أمام باب بيته. نعم، إنه إنسان. إنسان. وإنه ليمد خطوه إلى البيت. إلى البيت الذي كان مختار يعتبره بيته. بيت مختار. انفتح الباب. آه، نعم، نصف فتحة، وغاص في حفرة الباب. لابد أن تكون امرأة هي من فتحت الباب. ومن يمكن أن تكون هذه المرأة غير خاتون؟ إذن أفكانت حقا يد خاتون هي التي فتحت الباب بوجه رجل غريب؟ يدا خاتون؟ فكر مختار: «ماذا يجب أن أفعل؟ أفلا أذهب أيضًا؟».

أغلقت خاتون الباب وراء مرحب. ذهب مرحب إلى الغرفة، ترك حقيبة ظهره عند الجدار وجلس صامتًا على الصندوق. كانت بي بي وخاور جالستين تحت «الكرسي»، وأصيبتا بشيء من الحيرة لدى رؤيته. ربما أرادتا أن تقولا شيئًا، ولكن لسانيهما كانا انعقدا. وكان مرحب أيضًا بوضع آخر. كان غيره كل مرة. كان عابس الوجه. مقطبًا. كانت شحمتا أذنيه وخداه موردة. يؤرث سيجارة ويدخن السجاير سريعًا. كان واضحًا أنه غير هادئ. كان واضحًا أن في داخله فوران وأنه في الداخل يغلي كالخل. لم يكن ينظر إلى مكان أو إلى أحد. كان رأسه

مُخفضًا وهو ينظر إلى جذر إبهامه. وحتى عندما جاءت خاتون إلى الغرفة، لم ينظر إليها مرحب. وهى أيضًا لم تقل شيئًا. لم تكن تستطيع أن تقول شيئًا. كما لو أنها خرست. كما لو لم يكن لحنكها وفكيها رمق. كما لو كان أحد ما فى روح خاتون قد مات. كما لو أن خاتون ذاتها قد ماتت فى قلب خاتون.

نهض مرحب عن حافة الصندوق، أدار ظهره للنساء ووقف أمام عمود الجدار. كانت مرآة صغيرة مبنية فى الجدار. نظر مرحب إلى نفسه فى المرآة.

– أى جبين لك أيها البشر؟! ولا تدرى أيضًا ما يكون فى الآخِر وأين ينتهى بك الأمر! ولا تدرى أيضًا أين تقع وتتلف. لا تدرى متى وأين يصطدم رأسك بالصخر وذات لحظة، أخيرًا تقف آنًا وتسأل نفسك: أين كنت؟ أين أنا ذاهب؟ لابد أن أذهب إلى مكان ما أخيرًا. فلا يمكن أن ألف كحصان المعصرة حول نفسى. يمكن؟ أتكون تصورت نفسك حصان عصر؟ ها، يا مرحب؟

فهمت النساء جميعًا أنه – مرحب – مضطرب. أشارت خاتون لابنتها ولأمها أن تذهبا إلى المختلى. ذهبت بى بى وخاور إلى المختلى. نهضت خاتون واقتربت من مرحب ووقفت وراءه قريبًا من كتفه وقالت بهدوء:

– ما بك؟.. ها؟

أوكأ مرحب جبينه بالجدار جنب المرآة لا يقول شيئًا. كما لو أنه غارق فى ذاته. كانت خاتون تحس أنها لا تستطيع أن تضع يدها على

كتفه. كانت تحس أن مرحب الليلة ليس مرحب كل يوم. لقد استقر نوع من خوف منه فى قلبها. ومع هذا كله لم تكن تستطيع أن تبقى ساكنة مطبقة الشفتين. سألت:

– ألا تقول شيئًا؟ لم لا تنطق؟ أصار شيء؟ ها؟

قال مرحب:

– لقد أردت أن أجيء إليك تلك الليلة، تلك الليلة إياها. ولكن حالى لم تكن على ما يرام. إن أردت الحق كنت سكرت.. ومن باب المصادفة أننى كنت خلال ذلك كله أفكر فيك.. جئت، جئت حتى قريبًا من هنا. ولكن قلبى لم يطاوعنى أن أدخل.. فكرت أننى إن دخلت، إن جئت إلى هنا لا ترين إلا وقد أفرغت شرّى فيك.. ولهذا كان أن حرفت طريقى وذهبت.

– أية ليلة؟

– الليلة التى طردونى فيها. منذ كم يوم.

– طردوك؟ من المعمل؟ سمعت. لماذا؟

أشاح مرحب بوجهه وأوكأ كتفيه البارزتين بالجدار. ولكنه لم ينظر إلى خاتون. كانت عيناه على ظاهر قدميه. قال:

– بلا سبب معين.

– لماذا؟

– إننى أتكلم.

صرخ مرحب في وجه خاتون. تراجعت خاتون قليلاً. لم يكن مرحب يستطيع أن يستقر على قدميه. كان جسده رخواً. كان الكحول قد أرخاه. سحب نفسه نحو «الكرسي» وجلس فوق «الكرسي». تدلى رأسه وبرز كتفاه واحدودب ظهره. بقي برهة في حاله ثم قال:

- كنت أقول إنني لو كنت أتيت إلى هنا تلك الليلة. لكان ممكنًا أن أقول كلامًا يكون سيئًا لي ولك في الوقت...

تقدمت خاتون إلى أمام وسألت:

- ماذا؟ أي كلام؟

- إنني أقول... لا تقاطعيني بهذا القدر، إنني أقول إنني لو كنت أتيت إلى هنا، لكان ممكنًا أن أثير غضبك...

- إنك لتغضبني الآن أكثر! إنني الآن لأموت. حسنًا، ما الذي جرى فـ...

رفع مرحب رأسه ونظر في عيني خاتون، بقي لحظة ساكتًا، ثم قال:

- كنت أريد أن أجيء هنا، آتي إلى هنا وأقول لك.. أقول لك.. أقول لك إنني.. إنني.. لا أستطيع..

هنا طأطأ رأسه مرة أخرى كي لا يرى خاتون وواصل كلامه:

- إنني لا أستطيع أن أتولى مسئوليتك ومسئولية عائلتك إلى آخر عمري. لا أستطيع.. أتعرفين؟ أنا لم أعتد هذه الأمور.. لست معتاداً أن

أذل نفسى من أجل أحد أو شىء أمام هذا وذاك.. أتحمل منّة رب عمل، أطأطئ رأسى وأنفذ كل أمر، أحنى رأسى أمام كل دونىٍّ.. لا أستطيع.

سقطت خاتون، ساكتة وبنصف روح، عند «الكرسى»، قرب رأس جزمة مرحب، جالسة وانحنت. قال مرحب:

- لم أستطع فى أى وقت.

تمكنت خاتون أن تقول بمشقة:

- لقد فتحت عليك، مع نفسى، حسابات.

قال مرحب منكسراً:

- أدرى، أدرى. ومن أجل هذا لم آت تلك الليلة لأننى لو كنت جئت لكنت قلت كل هذا الكلام لك.

رفعت خاتون رأسها إلى أعلى ونظرت إليه وسألت:

- وماذا الآن؟

- الآن أيضاً.. تقريباً الأمر نفسه. قلته. أنا لا أستطيع أن أعطى كل أسبوع، كل أسبوع، مصروف بيت. فكيسى خال. ليس فى يدى أى شىء. إلا إذا تمكنت من أن أجد عملاً. وقد صار هذا مشكلة. أينما ذهبت يسألوننى عن أصول الدين. أين اشتغلت قبلاً؟ أين كتاب الرضا عنك؟ أين ضامنك؟ أين دفتر نفوسك؟ ما فنّك؟ وزنك كم كيلو؟ وألف أين أخرى..

فقالت خاتون:

- لقد قلت للجميع إنك زوجى. أينما وصلت قلت.. للدرك، لأمى، لطفلتى، للجميع..

- أدرى.. حسنًا، أنا نفسى كنت قلت أن تقولى.. ولكن الآن ماذا أفعل؟ لا أستطيع.. يدى خالية.

- تردد هنا، فى الأقل هكذا، بلا مصروف. مهما كلف الأمر سأذهب أنا إلى العمل. فى معمل الزجاج يقبلون عاملات. أذهب هناك وأفعل شيئًا أجعلهم يقبلوننى.

أمسك مرحب، فى حال هى بين الضحك والبكاء، وجهه بين يديه وحنى نفسه على ركبتيه وقال مغمغماً:

- هه! أصير آكل خبزك؟ آكل خبز امرأة! لا، لا أستطيع أن أهرس نفسى تحت عبء الخزى. لا.

كانت خاور وبى بى قد أزاحتا باب المختلى وراحتا تنظران إلى مرحب وخاتون. همست بى بى شيئًا فى أذن البُنيّة، فقالت خاور:

- تريد أن تذهب إذن يا عمو مرحب؟

نظر مرحب إلى خاور. جاءت نحوه ومسحت رأسها بركبتى مرحب. مسد مرحب شعر البنية، وقال مقطّعًا:

- لا... نعم.. لا.. نعم يا عـمـاه.. يجب أن أذهب الآن.. ولكننى سأجىء مرة أخرى.. أجىء هنا.. وأجلب لك ثوبًا أيضًا.

نهض، فكّ الطفلة عن ساقيه ومضى نحو حقيبة ظهره. رفعها ومد يده إلى الجيب وقال لخاتون التى كانت لاتزال جالسة:

-- لا أستطيع النظر إليك.. هاك، كل ما معى من مال نقسمه معًا.. هذا هو المال الذى أخذته ثمنًا لدراجتى.

وضع نصف المال على الصينية فوق الصندوق وقال:

- وأيضًا إذا وصلت، إذا تمكنت فسأرسل لكم مالاً.. طيّب، حللينى.

مد مرحب قدمًا إلى الخارج. كسرت خاتون غصتها، نهضت بى بى وأمسكت كتفى خاور فى قبضتها وتوسلت:

- ناديه أنت. ناديه أنت.

ركضت خاور إلى الباب وصاحت:

- عمو.. عمو مرحب.

جاء مرحب إلى قريب إطار الباب:

- يا روح عمك.

أشارت خاور إلى أمها وقالت:

- خاتون.

مسحت خاتون وجهها بذيل شادرها وقالت لمرحب:

- ابق هنا الليلة فى الأقل.

مد مرحب قدمًا إلى الغرفة، مضى نحوها، احتضنها بأخوة وأنام، لحظة، رأس خاتون على كتفه وقال لها بهدوء:

– لا أستطيع.. لا أستطيع أن أبقى. ولكننى أريدك جدا.. جدا. فى أمان الله. إذا تمكنت سأعود.

فصل نفسه عن خاتون، خرج من الغرفة متراجعًا، أنهى الدهليز وفتح مصراع باب البيت ومر منه ليترك نفسه وسط الليل وبين ضياعه.

كان مختار يرتجف لنفسه. يرتجف ويحس أنه استيقظ من النوم. كان يحس أنه فى المنام يرى كابوسًا. لقد تخضخض كل بدنه، كما فزّاعة فى الريح. كان أبكم دائخًا مخدوعًا ولا يدرى ما ينبغى أن يفعل! يذهب؟ يبقى؟ يعود؟ كان يتمنى لو تنفتح الأرض فتبتلعه.

لم يكن يدرى كم له وهو واقف هنا، كالمسمار. لحظة أم ساعة؟ اقتلع إحدى عكازتيه من الأرض المتجمدة، ودار نصف دورة على قدمه اليسرى، ورأى فى الجانب الآخر رجلاً على ظهره معطف وحقيبة ظهر يصعد صدر السكة. كان هو نفسه الذى ترجل قبل الآن من العربة، وترنح قليلاً وذهب إلى البيت ثم خرج قبل لحظة من البيت. كان هو نفسه. إن عينى المرء لا تكذبانه: «هو نفسه. إننى أراه. أتقدم. أسد طريقه وأسأله عن كل شىء. ينبغى أن أفهم منه كل شىء عن بيتى. أفهم. أستله من لسانه».

انطلق. كان قد خدر وصار يحس أنه لا يملك السيطرة على بدنه. ومع ذلك سعى أن يلحق بالرجل الذى كان يتصوره خرج من بيته،

وقد خرج من بيته. تعارج من المرقى جنب السكة الحديد إلى أعلى؛ رآه مرحب فتفاجأ. كما لو لم يكن يصدق أن يرى، هنا وفى هذا الوقت، امامه رجلاً له ساق واحدة لا غير. خاف. فجأة خاف. لأنه برؤيته أضاع فرصة التفكير. لم يستطع أن يفكر. كان قد أجفل. لقد نبق الرجل وحيد الساق فجأة. كالشبح. كالجنّى. وأصلاً لا يشبه البشر. ولهذا أدار مرحب له ظهره ونزل منحدر السكة، وإلى أن وصل مختار السكة كان مرحب قد اجتاز الخندق. ناداه مختار:

- يا أخ.. أخى.

التفت مرحب، شاكًا، ونظر إليه. قال مختار:

- انتظر، عندى معك شغل.. عندى معك شغل.

قال مرحب:

- يجب أن أذهب يا أخ.. يتعطل عملى.

- دقيقة واحدة فقط.. أريد أن أسألك شيئًا.

- عندى عمل يا أخ. ينبغى أن أوصل نفسى إلى القطار.

كان الرجلان، نقطتين سوداوين فى ليلة جليدية، بعيدتين إحداهما عن الأخرى، يحاولان أن يوصلا صوتيهما لبعضهما. مرحب يمضى ومختار يجرجر نفسه مرتبكًا ومريضًا من فوق جليد منحدر السكة الحديد ويجيء وراءه. كان يمد خطى عكازته واسعة ويسحب نفسه إلى أمام. ولكن مرحبًا كان يسير أسرع منه. كانت ساقاه طويلتين وهذا ما يخلصه

من قبضة مختار.. كان مرحب قد بلغ الجانب الآخر من الخندق وقريبًا من براميل القار الخالية، فبما كان مختار عند هذا الجانب من الخندق عند عمود التلغراف. كان مختار يرى بعينه أن الرجل يخشاه. ولكنه لم يكن يرى فى نفسه شيئًا مخيفًا. كان لا يريد إلا أن يسأل بضع أسئلة عن بيته هو. هذا كل شىء، ولكن الرجل يمد خطاه على نحو وكأن رجل أمن يطارده. كان مختار قد ضاق بعجزه ويحس أن صدره امتلأ غصة وحقداً. وقف وعوى كالذئب:

- ووووى ى ى. يـ..ـا أخ..

التفت مرحب، وقف قرب برميل قارٍ خال، أخرج من جيبه بضعة قرانات، مسح ندفة جليد عن البرميل بكمه ووضع النقود على البرميل وقال:

- سامحنى يا أخ. ليس عندى أكثر من هذا فكةً. فى أمان الله.

فأعول مختار:

- عندى شغل معك. أريد أن أسألك شيئًا يا عديم المروءة!

- الوقت متأخر يا أخ، يجب أن أذهب.

فصاح مختار:

- قل لى فقط ألم تكن أنت الذى خرجت من ذلك البيت؟

تريث مرحب لحظة. ثم قال:

- لا.

وحث خطاه على الطريق. تحقق مختار أن الرجل مرتعب منه. غطت ضحكة، مثل شتيمة مقذعة قديمة، ما حول شفتيه: «صرتُ كآكل الجيف. الجميع يهربون منى. ليس عبثًا أن أطلقوا علىّ فى هذه الأنحاء اسم النحس!»، وأخذه هو نفسه الضحك من نفسه.

غاب مرحب عن عينه. دار مختار بصبر حول الخندق، توجه نحو البراميل الخالية، جمع النقود ذات القران والقرانين، دلقها فى جيبه ووقف عند البرميل. لكونه أخذ النقود، كان خجلاً من نفسه. نفر حتى من يده اليسرى التى جمعت النقود، ولكن قلبه لم يطاوعه أن يلقى النقود فى طريقه. انطلق. بعد لحظة صعد مرقى السكة الحديد، كتيس عجوز يرقى تلاً حادَّ الانحدار، ووقف فى مكانه الدائم، مقابل بيته. كانت السكة كأنها ثعبانان أسودان، يزحفان فى الجليد. وكان مختار كأنه جمل ملدوغ لبث بينهما. قال لنفسه: «ماذا ينبغى أن أعمل؟».

انطفأ ضياء نافذة البيت. أشاح مختار بوجهه، انطلق نحو مقهى مشير. كانت مشكاة المقهى الصغيرة لا تزال مضيئة.

- ١٣ -

كان مشير، وراء منصة الشاى، قد أولى الجدار ظهره، وضع منقل النار بين ساقيه، وشرع يغفو. كان وجهه منقبضاً وخده الطويل المعظم، كخد حصان مريض، قد تدلى على صدره، وأجفانه المزرقّة تتمطى متعبة وشعره، مثل أجمة شوك ابيضت فى الشمس، يقف على رأسه مثل أسياخ.

لف مرحب نفسه فى بطانيته الخضراء ذات المربعات وتمدد منطوياً على المصطبة، جنب الباب. مد ساقيه فوق المنضدة وأنزل طاقيته إلى ما فوق حاجبيه وكان يلتمع فى وجهه المربع والصلب زوج عيون بنى، كعينى قطة. لم يكن يريد أن يفسح الطريق فى بدنه للتعب والنعاس. أنزل ساقيه عن المنضدة، واصطفق نعل جزمته بالأرض فحطم صوته إغفاءة مشير. ارتفع رأس مشير عن قفصه الصدرى، ذعرت أجفانه عن بعضها واستقر بؤبؤا عينيه على وجه مرحب مبهوتين:

- ماذا؟ أأجلب شاياً أيضاً؟

- لا بابا، كم يمكن للمرء أن يشرب شاياً ويعاود الخروج؟ ما من شىء أتفه من هذا الشاى. عندما يشرب المرء أكثر من أربعة أقداح يكون حكمه كحكم مجرى ماء.

قال مشير وهو يتثاءب:

– إذن فأنت لم تر شرِّيب شاي! ثمة شخص هش يأتي إلى هنا، إن لم تمنعه فإنه يشرب أربعين شايًا في نفس واحد. يشرب إلى حد أن يسيل العرق من رأسه وأذنه! حقًا أنت تحركت أيضًا. ما الذي يشدك هنا حتى أخذت أشياءك وانطلقت؟

– قلت لك. بعد كل تشردي أردت أن أستقر في مكان، ولكن هذا لم يحصل. اللئام لم يسمحوا . ولهذا ينبغي أن أنطلق مرة أخرى. كأنما كتبوا على جبيننا هذا. عمر كامل من هنا ومن هناك، في حركة.

سأل مشير:

– أنا لم أفهم أخيراً، ما كان شغلك الأصلي؟ عملك؟

بقي مرحب برهة بلا جواب وغاص في التفكير: «ماعملي؟ من أنا؟».

– «مرحب...

... مرحب الذي انخلعت ياقته وتمزق ساق سرواله وهو يجري وراء عربة كي يلحق بها ويلتصق بها.

... الذي كان جالسًا في الوهدة جنب كانون الحاج مشكور، وسط جمع، يلقي الكعاب الثلاثة[1].

... الذي يحمّل، بمعية بير علي من جبل بي بي شهربانو، عربة بالحجر يأتي به إلى معامل تقطيع الحجر في الميدان كي تقطّعه وتعد منه شواهد قبور.

... الذى أمسك، فى سوق باعة الخضر، سلة عنب على كتفه وتقدم صاحب الحمل من وسط الزحام جاريًا إلى الشارع.

... الذى كان واقفًا على شاحنة يتناول البطيخ الذى يرميه عمال الصيفى إلى أعلى، ويصفّه فوق بعض.

... الذى كان يحرث فى كرمة.

... الذى كان، فى مزرعة قطن، يجر على كتفه كيس شرانق القطن.

... الذي يقوم بالتشحيم فى ورشة تصليح الجرارات.

... الذى كان يحصد.

... الذى كان يركض، فى مزرعة قطن، وراء فتاة.

... الذى كان يلقى، لرجل واقف فوق سيارة حمل، بنجرًا إلى أعلى.

... الذى كان يركض وراء سيارة البنجر.

... الذى كان جالسًا وراء مقود الجرار.

... الذى كان نائمًا عند سيارة كبيرة.

مرحب الذى صار فتيلة فى الريح».

قال:

- ذات يوم فى بوادى تُرْبَتْ(٢)، رأيت أجمة شوك كانت الريح اقتلعتها من الجذر وتسوقها معها.. أيوجد فى تجهيزاتك عرق؟

– لأى شىء تريد العرق بعد؟ إن من أهدابك ليقطر الكحول!

– ما شأنك بأهدابى؟ أقول هل يوجد فى تجهيزاتك عرق أم لا؟

– لا.

– لا! هه!

– ما بك الليلة؟

قال مرحب:

– ركضت وأمسكت بذلك الشوك. ولكننى أطلقته مرة أخرى فى الريح. ساقته الريح.. أهوى أن أقوم فأدق رأسى بالحائط! أرغب فى أن أقوم فأهدم مكانًا! أريد أن أفعل شيئًا. أن أؤذى أحدًا مثلاً. أو عملاً.. آخ.. صرت أتصور أننى اقتُلعت من كل مكان.

قال مشير:

– منذ أن ذهبت من المقهى عند ذلك الفتى، صاحبك، ما الذى جرى لك؟ جننت؟

وضع مرحب رأسه على يديه، واختض كتفاه وقال بصوت محطم:

– الأولى: لا أدرى ما أفعل بهذه الدنيا؟ والثانية: لا أعلم ما أفعل بنفسى؟!

سحب مشير البطانية فوق كتف مرحب ورأسه وقال:

– ليست حالك على ما يرام. خذ لك غفوة وقتًا. إذا ما جاء أخبرك. متى ما جاء يُسمع عواؤه من بعد فرسخ.

فتح مختار مصراع الباب بطرف عصاه ، مد قدماً إلى المقهى ودار فوق عكازتيه، أغلق الباب وراءه وحيًا. كان يرتجف وبؤبؤاه مضطربين، كما لو كان يخاف من كل الناس الذين ينظرون إليه. كان متعباً ولم يكن يمسكه على قدميه إلا عكازتاه. أشاح مشير نظره عنه وقال:

- نط مرة أخرى.

من حرارة الهواء تحت السقف، تململ جسد مختار من مكان لآخر، تنمَّل، ذهب نحو منصة الشغل كي يدفئ نفسه. قال مشير مع نفسه:

- صرت أحس الغثيان لرؤيته. انظر إليه! كوم من النكبات.

ألصق مختار نفسه، كما العجين الذى يلصقونه بالتنور، بطابوق المنصة الساخن.

ارتفع صوت مشير:

- آهاى.. لا تحك نفسك هكذا بأوعية الشاى!

كان مختار يعرف أنه لا ينبغى أن يثير مشيراً. ولهذا السبب أبعد نفسه عن المنصة بدون نقاش. ولكن مشيراً لم يبق ساكتاً:

- منذ الليلة التى وضع فيها رجله فى هذا المقهى، جلب معه عالماً من النحس. أستحلفك بالله هل ترغب فى النظر إليه؟

لم يكن مختار يستطيع أن يقف كى ينظروا إليه. فهو لم يكن قرداً فى قفص. كان يضيع تحت أنظار الآخرين. لم يكن يستطيع أن يبقى فى محله. يلف حول نفسه بلا إرادة وعيناه مثبتتان فى الأرض. لم يكن

يحتمل النظرة الحادة والساخرة للشمعوذ الملتم على نفسه فى زاوية المقهى. كذلك كان مختار يحس ذلاً من نظرة المسافر، الغريب الذى رآه هنا الليلة، الكسلى. ومع هذا، فلم يكن يدرى ما ينبغى أن يفعل!

قال مشير:

- نفد الشاى.

قال مختار:

- والمنام؟

علك مشير تحت أسنانه:

- سمج! كأن قدمك الأخرى تلك تنكسر لو لم تدخل هنا... فى تلك الليلة التى طرح رأسه، فى هذه المخروبة على رأس صاحبها، انقلب السماور وفحَم الماء الفاتر رجل ابنتى بنت السنوات الست!

رفع مرحب رأسه عن يديه ونظر إلى مختار. وقف يابسًا، وبقيت عيناه، مثل بقعتى غبار، راكدتين. انقفلت شفتاه، وتمكن بعد لأى أن يقول «لع». كان لايزال أبكم دائخًا وغائصًا فى هذه الفكرة: هل عرفه الرجل الأعرج أيضًا؟ لا، لم يكن يريد أن يصدق أن هذا الرجل هو ذاته الذى تصدى له قبل هنيهة فى الجليد. تملكه الفضول لمعرفة ما إذا كان مختار رآه أيضًا وعرفه أم لا؟ ولكن مختاراً لم يكن قد استطاع بعدُ أن يرى أحداً. لم يكن فى نظره من الناس إلا أشباح. كان لايزال حائراً، وكان - كالجنازة - معلقًا بين عكازتيه. لم يستطع مرحب أن يحتمل. تململ فى مكانه وقال:

– لمَ لا تأتى فتجلس هنا يا أخ؟

أدار مختار رأسه نحو مرحب، نظر له مثل ثور حراثة وقال:

– مرة أخرى لم أرها.

– لم ترها؟ مَن التى لم ترها؟

انجر مرحب نحو مختار ونظر إليه. كانت نظرة مختار بكماء ومريضة، وأحس مرحب كم كانت عيناه غائرتين وبعيدتين. كما لو أنهما تنفتحان على ليلة مظلمة. أجلس مختاراً على كرسى، ولكن مختاراً لم يكن يرفع عنه نظره:

– صار الليل، صارت الدنيا ليلاً. وهى لم تستطع الخروج من شدة البرد.

فقال مشير، غامزاً:

ـ نعم! أنت أيضًا قل هذا دومًا. إن الخارج لمضىء كالنهار.

نظر إليه مختار وقال:

– الدنيا ليل. وباردة أيضًا. لم تكن بهذه البرودة فى السنوات الماضية.

– فى السنوات الماضية كانت باردة أيضًا، كل ما هنالك أنك لابد كنت أشد احتمالاً.

– نعم.. كنت أشد بنية.

نظر إلى يديه، كانتا جافتين مزرقّتين:

- راح كل دمى.. ذهبت قريبًا من هناك، لم يبق غير مائة خطوة. كانت الريح تجلب أصواتهن، ولكننى لم أدخل. لم أستطع أن أذهب.

سأل مرحب:

- صوت من؟

- صوت أطفاله[٣].. حسنًا، لم تذهب يعنى ماذا؟ أفتستطيع أن تقضى وقتك حتى قيام القيامة هنا على هذا النحو؟

فقال مختار:

- لم أستطع. بقيت طويلاً جدا هناك، ولكن قدمى لم تتقدم. لم أستطع.

استدار مشير نحوه وقال:

- أتراه؟ له ثلاث عشرة ليلة لا يفعل غير هذا. يلف من الصباح حتى المساء فى الخرائب المحيطة بالثكنة، وعندما يحل المغرب يمضى إلى جنب السكة الحديد، يتمدد على صدره وينظر إلى باب بيته علّ ابنته تخرج فيفوز منها بنظرة. ولكن الأمر على العكس: الجو بارد، والطفلة لا تخرج. تفضل.

حك مختار تحت إبطه وقال بصوت خافت ومع نفسه: «أفكر الآن لماذا جئت أساسًا؟ كان يجب أن أبقى هناك، على هذا الجانب من الماء، فى الميناء، وتدبرت لنفسى عملاً ما».

قال مشير:

- وهناك أدفأ من هنا أيضًا.

- وأفضل. جدا.

كان مرحب لايزال صافنًا على مختار. وسأل المسافرُ الغريب الذى طار نومه الآن:

- لماذا لم يدخل؟

- اسأل السيد نفسه.

- حسنًا يا أخ، لِمَ لم تدخل؟

فردد مختار مع نفسه:

- لم أستطع. لم يتدبر. مضيت كى أذهب، ولكن قدمى لم تتقدم.

- بابا، كنت تغامر أخيراً.

- لم يتدبر يا أخ، لم يتدبر. عندما يفقد المرء شيئًا، يصير من هذه الحال إلى تلك الحال تقريبًا، يرى نفسه غريبًا بين الناس. ينظر إليه الجميع وكأنه قد فعل مائة أمر مخالف للشرع. لو أن زوجتى رأتنى الآن فلابد أنها ستنظر إلىَّ على نحو وكأنها رأت جنًّا. كأنها رأت جنًّا.

كان مختار يرتجف. بحيث كان كلامه يتكسر تحت أسنانه.

قال المسافر:

- ولم يسخن الجو بعد.

قال مختار:

- منذ شهر أنا لم أسخن. سيأكل هذا البرد فى آخر الأمر عظامى.

أحس مرحب وخزًا فى عمود ظهره وارتجف جسده. كانت أسنانه قد انقفلت. أراد أن يقول شيئًا، ولكنه أحس أنه لا يستطيع أن يفرج شفتيه. كان قد بقى مغلقًا مطفأ. كان مختار لايزال يرتجف. أحس مرحب أن بإمكانه أن يتحرك، فنهض، فتح البطانية عن كتفه، خلع معطفه القصير عن بدنه، ألقاه على كتفى مختار، ومرة أخرى لفّ بطانيته على كتفيه وجلس. قال مختار:

- من تلك الساعة التى نقلت قدمى فيها من البحر إلى هذا الجانب لم يدفأ ظهرى. إن جو هناك يختلف تمامًا. هناك فى الكويت، يمكن الآن الخروج بالجاكتة. ولكن هنا، كأن سمًّا يهطل من السماء.

- الكويت؟!

سأل مرحب هذا بلا إرادة. فقال مختار:

- الجو هناك أكثر اعتدالاً. كثيراً.

- قل لى؛ كيف الأوضاع هناك؟ ماذا عن الشغل - مغل(٤)؟ كثير؟ سمعت أنهم يعطون أجوراً جيدة؟

- جو هناك أكثر اعتدالاً بكثير.

- يعنى أن تلك الأمور التى يصفونها عن هناك أكاذيب؟

– ولكن هنا هواؤه يثقب بؤبؤ عين الإنسان.

– ماذا كنت تعمل أنت هناك مثلاً؟ ها؟ كم كنت تأخذ فى اليوم؟

– فيم ينفعك يا أخ؟ فيم تنفعك هذه الأمور؟

– أريد أن أقف على مظنته.

– ليتنى لم أفكر فيها. صار ذلك الوجه أسوأ من هذا الوجه.

– يعنى أنك لم تجمع شيئًا؟

جرّ مختار المعطف أشد حول كتفيه وقال لنفسه: «وأرتجف أكثر بسبب ساقى. تحرق. كما لو كانوا أخرجوها من كانون».

سحب مرحب ياقة المعطف إلى رقبة مختار وسأل:

– حسنًا؟ بعد أن ذهبت ماذا جرى؟

قال مختار:

– ينز فخذى مصل دم. كأن السلك انسحب... البرد سيئ للجرح القديم، لا؟

– والله... البرد، نعم ليس جيداً.. ولكن، ولكننى قد سمعت أن الكويت..

أسرع مشير يقاطعه:

– منذ الساعة الأولى اقترحت عليك أن اذهب إلى إحدى مستشفياتنا الحكومية، اكشف نفسك، ولكنك لم تسمع... ليس العنيدون قلة!!

سأل مرحب مشيراً:

– هناك صار هكذا؟

– كما يقول هو، قبل نحو سنة، أجروا له عملية فى مريضخانة(٥) بالكويت.

– يعنى ما به؟

– أفلا ترى؟

– كيف؟ فى العمل؟

بقى مشير بلا جواب، وقال مختار:

– مركب! أتعرف ماذا؟ فى مياه الكويت عرّضوا المركب للرشاش. ظنوا أنه يهرِّب أسلحة أو ما أشبه. تثقب المركب فصار كالمنخل وتساقطنا نحن إلى الماء كالحنطة. سبعون شخصاً. مات بعضنا بالرصاص، غرق عشرون، وجرف الماء أيضاً الباقين. أحدهم أنا، والآخرون أسود ما، وبحرينى، وثلاثة أعراب من أهل مكة، ويهودى وسيخيّان. انقسم أحد السيخيين من منتصفه. فى المريضخانة عندما فتحت عينى رأيت إحدى ساقىّ غير موجودة. ثم أعطونى هاتين العكازتين تحت إبطى وقالوا رح إلى بيتك... كأننى حلمت.

– وماذا حل بالباقين؟ أولئك الذين ماتوا؟

– أولئك الذين ماتوا؟ هه هه.. هناك يموت الناس كالذباب ولا يقرأ أحد حتى الفاتحة لهم.

أشاح مرحب بوجهه عن قرب وجه مختار وقال:

- لقد ضيعتنا على نحو سيئ تمامًا يا أخ. كانت عندى أفكار.

قال مختار:

- أحيانًا تستولى الأفكار السيئة علىَّ. أقول مع نفسى ربما كان ذلك البيت بيتى، وتلك امرأتى. امرأتى أنا.. أيصير مثل هذا؟

انكتم مختار. وكان مرحب صامتًا أيضًا. ذهب مشير، بإشارة من مرحب، نحو أوعية الشاى، وعاد فوضع قدحى شاى أمامه وأمام مختار. كان المسافر قد أعطى الجدار ظهره وغلبته الإغفاءة. ذهب مشير فأنامه وسحب اللحاف فوقه. سقط نظره على المشعوذ. كان المشعوذ لايزال صاحيًا، ولكن أجفانه كانت مطبقة. أحس مرحب غصة تضغط على حلقومه. أرَّث سيجارة وأعطاها لمختار. بلع مختار دخان السيجارة باشتهاء ونظر إلى مرحب:

- هناك يا أخ، يصير الإنسان مثل مادة مسروقة. بأى ثمن كان، يجرُّون من ظهره أى نوع من العمل، لأنه مهرَّب. وإذا ما طلع صوته، يضربونه كالكلب على رأسه أن انكتم وإلا فالشرطة. ولذلك فالواحد مجبور أن يطأطئ رأسه، أن يشتغل كالحمار ولا يرفع نفَسًا. وعندئذ، بعد ستة أشهر عندما ينظر الواحد إلى نفسه، يجد أنه صار مثل غلام زنجى.

قال مشير:

- الوحيد الذى لم يرو له هذه الأمور بعد هو حافظ الشيرازى(٦).

لم يبال مرحب بكلام مشير، طبق بطانيته وألقاها على ظهر مختار.

- ألا زلت ترتجف؟

- هذا البرد، لن يحلّ عن ظهرى بهذه السرعة.

فتش مختار فى جيبه عن شىء، أخرج علبة صغيرة، فتح غطاء العلبة، أخذ من العلبة أفيونًا بحجم نصف حبة حمص، وضعه على لسانه وشرب شايه فوقه.

قال له مرحب:

- تتناول الأفيون؟

- إذا كنت لا أتناول هذه الحبة المُرَّة فسأموت. يا للهواء الفاسد!

ارتعش كغصن صفصاف. نهض مرحب عن جانبه. تمشى فى المقهى ووقف قريبًا من مختار مرة أخرى. لم يكن يقدر أن يرتاح. قال:

- البيت... مهما يكن فهو خير من هذه الأماكن.

- البيت؟

- نعم.. مع كل شىء أفضل من هنا. أنا أيضًا كنت أنام هنا، ولكننى ذهبت بعد ذلك مع صاحبى.. ذهبت وصاحبى وصرنا نسكن فى بيت معًا.

نظر مختار إلى مرحب. كانت نظرته ثقيلة كالرصاص.

- كم عمرك؟

لم يتـحـمـل مـرحب سـؤاله. نفـر وذهب إلى عند البـاب. فـتح أحـد مصراعى الباب وقال هامساً لنفسه: «هذا القطار. احترق مذهبه، لم يأت هو الآخر. لم يأت»..

خرج مشير من المختلى، وقد تناول لحافًا تحت إبطه، وقال:

- أغلقه، فإن سفع برد يأتى.

أطبق مرحب الباب واستدار نحو مشير قائلاً:

- صـاحبنا هذا صـار أفـعـى تـقـطـع طريقـنـا على نحـو سيئ !.. كم الساعة الآن؟

وضع مشير اللحاف على المصطبة وقال:

- عندما يأتى القطار تكون الساعة الحادية عشرة والنصف.

- لكنه لم يأت بعد؟

- لابد أنها الحادية عشرة.

استدار نظر مرحب نحو مختار. كان مختار قد تجمع على نفسه مثل جلد تُرك فى الشمس. دخان السيجارة الذى يرتفع من وجهه فقط يجعل المرء يفهم أنه حى. تكلم مرحب:

- هذا كلام كبير! يقوم الإنسان فيأتى من مبعدة مائتى فرسخ، ثم...

رفع مختار رأسه إلى أعلى وبقيت عينه على عين مرحب:

- ما شأنك بى أصلاً؟

- إننى أقول هذا من أجلك.

- لا يلزم أن تقول من أجلى. أفأنت مجتهد[٧]؟

- لكن يا أخى، إذا كنت هكذا فإنك ستموت بعد أربع ليال.

- لماذا تحمل أنت همّى؟ إذا كنت سأموت فلأمت.

- يا لك من إنسان عجيب، ها!

لم يقل مختار شيئًا آخر. نهض عن مكانه صامتًا، ذهب إلى زاوية المقهى وتفلّى كالعصفور. أحس أنه فائض. تقيُّح جرح يشمئز الجميع لرؤيته.

سأل مرحب مشيراً:

- أين هو بيته؟

قال مشير:

- كما يقول، على الجهة الأخرى من السكة. ما أدرانى؟ لابد أنه فى أحد هذه المزابل!

صار مختار يكلم نفسه: «ولكن.. كأننى رأيت ظل رجل دخل البيت، ثم رأيته يخرج. ذهبت نحوه، ناديته، ناديته، ناديته، ولكن...».

فقال مشير:

- تفضل! من أين لك أن تعلم أن هذا الرجل لم يكن أجنبيًّا[٨]؟ ها يا سيد؟

لم يستطع مرحب أن يقول شيئًا جوابًا على مشير. لم يستطع حتى أن يهزّ كتفيه.

وواصل مختار:

- لا.. كله وهم! يتراءى لى. أحيانًا أرى من هذه الأمور فى منامى. ولكن ذلك كله خيالات. أنا نفسى فكرت مع نفسى أنه كان شخصًا ذلك الذى ذهب إلى بيتى. لكن بيتى ليس هكذا أصلاً. أنا نفسى كنت رفعت درجاته جنب حائط الزريبة. ولكن الآن لا يوجد شىء حول ذلك البيت وفى أطرافه. من أين يُعرف أصلاً إن لم تكن زوجتى باعت البيت ورحلت عن هنا؟ لأن البيت كان فى عقد زواجها.

فضحك مشير ساخرًا:

- هه هه... سلامة رأسك. إن الزريبة يا صاح قد جرفها السيل ربيع هذه السنة. أوشك أن يجرف حتى بنائى هذا.

- لماذا لم يجرف ذلك البيت إذن؟

- لأن مكانه كان على المرتفع.

لم يكن مختار يصدق.

- لا. لو كان سيلاً، كان يجب أن يجرف هذا أيضًا.

قال مشير:

- كما تشاء. إن لم تكن تريد أن تصدق، لا تصدق. ولكن ليس من الغيرة أن يرى الإنسان بأم عينه رجلاً أجنبيا يدخل بيته ومع ذلك يجلس مستقرا.

كانت حدقتا عينى مختار توشكان أن تنفجرا. كانت أسنانه إذ تطحن بعضها تصوت. حدق بلا تركيز إلى مشير، وقال:

- لا تكن إلى هذا الحد عديم الغيرة يا رجل! إن زوجتى لم تأكل خبز عدم العفة. لماذا لا تكف عن غرس الإبرة فى صدرى؟... أنا أصلاً لم أرَ أحداً يذهب إلى ذلك البيت، جيد؟!

- أى بيت؟!

قال هذا مرحب. وكما لو كان قذف كرة رصاص من صدره. نظر إليه مشير وقال:

- البيت أدنى السكة. جنب حائط الزريبة المخروب.

استدار مختار ونظر ذليلاً حائراً إلى عينى مرحب المليئتين قلقًا، وقال له بهدوء:

- تعال!

ذهب مرحب، متردداً، نحوه ووقف جنبه. وضع مختار يداً على كتفه وأخذه إلى الزاوية وقال له بهدوء، بهدوء بالغ:

- نعم، البيت الذى على الجانب الآخر من السكة. أنا، أنا نفسى رأيت. قسمًا بشبابك، رأيت بعينىّ هاتين أن أحدهم ذهب إلى بيتى، ثم خرج، رأيته. أنا رأيته. ولكننى لم أكن من القرب بحيث أستطيع أن أرى وجهه عن كثب. كان الوقت مساء، فلم أستطع أن أراه جيداً. ولكننى أتذكر طريقة مشيه. ويكاد يكون صوته فى أذنى. كان على كتفه رداء خارجى،

مثل هذه البطانية التى عندك. وكانت فى يده أيضًا بقچة - لفافة. الحقيقة أنه ظننى شحاذًا. ولهذا وضع لى بضعة قرانات على برميل القار وذهب. هذه هى. هذا النقد الفكة. انظر. أنت. أنت.. أنت هذه النقود... أنت لم يكن ذاك الرداء الخارجى على كتفك؟ أنت.. ألم تكن أنت ذاتك من خرج من بيتى؟ ها؟

- كلا، كلا.

لم يتمكن مرحب أن يقول غير "لا". كما لو كانت قبضتا مختار تضغطان على حنجرته. قال "كلا" وسحب نفسه مثل جنازة وأُقعد على مصطبة. قال مختار:

- أنا أيضًا ظننت ذلك. كنت أدرى أننى صرت أتخيل. هه! كيف صرت. دائمًا تركبنى الأوهام. هه!

وقال مشير، الذى لم يكن سمع كلام مختار بوضوح:

- أفينفع معه الآن؟ أنبت لسانى شعرًا من كثرة ما قرأت فى أذنه. وفى هذا الفصل من السنة أيضًا! إن الإنسان يحتاج أخيرًا إلى شخص يعنى به، يناوله بيده كأس ماء. ولكن لو أننى أنا ابن المحروق قلت شيئًا فهو يظننى لا أفكر إلا فى ازدحام المقهى وضيق ذات يدى.

لم يكن مرحب يستطيع أن يصغى إلى كلام مشير. ولم يستطع أيضًا أن ينظر إلى مختار. كان شىء، مثل إبرة توغلت تحت إظفره، يؤذيه. كان مندلقًا على نفسه. لو كان يمكن القول، كان باطنه خاليًا من كل مَيْل. مثل شىء نفد. كشف مختار يديه الخاليتين لمشير وقال:

- لو كنت أنت، بعد غربة سنة ونصف، أفتعود إلى بيتك هكذا؟ سهل أني سلمت ساقي في مملكة الغربة. وعندئذ كيف تتوقع أنت أن أجيء مباشرة وأقرع باب بيتي، ها؟ أدق باب بيتي كي يصير ماذا؟ حسنًا، أين؟ لماذا؟ أفتظن أن طفلتي لاتزال تعرفني؟

لم يتكلم أحد. أنزل مختار رأسه في ياقته وواصل:

- نحن، أيها الأخ، أحد طرفي رحمتنا مربوط بجيوبنا.. في الحقيقة أنا لا أجرؤ الآن أن أقبّل وجه طفلتي! أقول لنفسي: بأي حق أفعل هذا؟.. طيب.. أنا محموم.. إنني أهذي!

مدّ معصمه نحو مرحب، فتناول هذا معصم مختار بين أصابعه وقال:

- لا، ليس كثيراً.

قال مختار:

- لمَ لا؟ أنا محموم، أنا نفسي أعرف. كل ليلة أصاب بالحمى في مثل هذا الوقت.

قال مرحب، بدون أن ينظر إلى مختار:

- مهما يكن من أمر يجب أن تنام!

- أنام؟

فارتفع صوت مشير:

– ماذا يفعل فى الأخير؟ يذهب أم يبقى؟

– أين أذهب؟ أتمنى لو كنت أستطيع أن أعود ثانية إلى هناك. قرب البحر، فى الميناء. هنا حيث أنا، أكثر غربة. لم يعد أى شىء هنا مألوفاً لعينى. حقًّا أتصور نفسى فائضاً.

– ثم ماذا؟ فكر فى العاقبة. لا يصير هكذا.

هب مرحب، مع نعرة، بوجه مشير:

– أفلا تسمعه يقول لا أستطيع أن أذهب؟

– إذا كان لا يستطيع أن يذهب فما ذنبى أنا؟ هنا محل كسبى، ليس ردهة استقبال! مسجد دافئ وشحاذ مرتاح! أنا أستطيع أن أتحمل شخصاً ليلة، أستطيع ليلتين، أكثر من هذا ليس فى وسعى يا أخى. إن الحياء حُسْن جيد للإنسان أيضاً.

اتجه مختار نحو مرحب وسأل:

– ماذا أفعل فى رأيك؟

ماذا كان يستطيع مرحب أن يقول؟ كان أخرس. واصل مشير كلامه:

– الخلاصة، لا شأن لى بهذه الأمور. أنت علاوة على مصروفاتك، شغلت مكان شخص آخر أيضًا فى هذا القُن! لو لم تكن موجوداً لاستطعت أن أجلب واحداً أو اثنين من عمال الطرق هؤلاء فأنمتهما هنا، آخذ خمسة – ستة شاهيات[9] تنفعنى وأهل بيتى. ولكن الآن من يأتى ينام هنا ويستمع حتى الصباح إلى روضتك[10]؟ من الليل حتى الصباح يهذى! الآن عشرة أيام لم يخرج صوتى، ولكن الآدمى يجب أن يكون عارفاً بالآداب.. آه.. كل واحد ينهش قطعة من كتف الإنسان!

نهض مختار، أخرج النقد الفكة الذى كان أخذه عن البرميل من جيبه، وضعه على منصة الشاى، وضع نصف معطف مرحب عن كتفه على المصطبة واتجه نحو الباب. بقى مرحب محتاراً ماذا يفعل؟ كما لو كانوا حصروه بين لسانَى كماشة. كان يحس نفَسه انقطع. اتجه مشير إلى مرحب، وقال تحت نظراته:

– والله، بالله، بعلى بن موسى الرضا[١١] ليس كما تظن. إننى كلما رأيت هذا الرجل يساقط لحمى. والله من كثرة ما رأيت من نكبات صرت أتلبَك. أنتم تتصورون أننى أحكى عن مبيته ليلة؟ لا والله. أقول لأننى لم أعد أستطيع أن أراه وأتحمل آهاته وأنينه. فهنا، زعمًا، مقهى، ليس مريضخانة، ليس مركز بؤساء. وأنا أقول فى وجهه، منذ الليلة التى وضع فيها هذا الآدمى قدمه داخل هذه الحيطان الأربعة، علاوة على أن ساق ابنتى الشابة انشوى فى الماء المغلى، فإن هؤلاء العمال الأربعة أيضًا، الذين يعملون على الجادة، ما عادوا يأتون هنا ليناموا. يقولون رأينا فى صحن شايك قملاً. الآن، أجلب القرآن فأمزقه وأقول: بابا، عيونكم رأت خطأ، أفتظنهم يصدقون؟ ثم ليس الوقت صيفًا كى يقول المرء إنه يذهب فيجد لنفسه زاوية ينام فيها.. أكثر من عشرة أيام الآن. أريد أن أقول له يا بابا صرت مانع مكسبى، ولكننى أخجل. أقول هو مسلم، حرام، الله لا يرضى. ولكننى أرى الآن أن البعوض نفسه لا يطير فى هذا القن. أرى أنه يصير مانع رزق أطفالى الأربعة، يجعل خبزى آجراً[١٢]. لكن حقًا، لو كنتم أنتم ماذا كنتم تفعلون؟

كان مرحب صامتًا. كان المسافر يبحث عن چيبقه. والمشعوذ يهز رأسه. تناول مشير چبق المسافر من عند ساق المصطبة وناوله إياه. كان مختار فى المنخفض عند الباب. خطا نحو باب المقهى. لم يكن مرحب يدرى ماذا يفعل. ماذا يستطيع أن يفعل؟ نهض من مكانه فقط. اتجه مختار نحوه وقال:

– لا تذهب إلى الكويت. حيف. لاتزال شاباً.

فتح الباب وخرج. تناول مرحب المعطف، سحبه على كتفه وخرج من الباب وانطلق وراء مختار، فوق الجليد. كانا كلاهما صامتين. أراد مرحب أن يقول شيئًا. كان يريد أن يخلى حِمْل قلبه، لكنه لم يستطع. كأن شفتيه خيطتا ببعض. على بعد مائة خطوة إلى الجهة الأخرى، استدار مختار ونظر إلى مرحب وأفهمه أنه ينبغى ألا يلحقه. ذهب مرحب وألقى معطفه على كتفى مختار، ولكن مختاراً لم يرده. هزّ كتفيه فألقى المعطف على الأرض. انحنى مرحب، تناول معطفه عن الجليد ونظر إلى ذلك الذى كان مدلى على عكازتيه ويبتعد. ابتعد مختار، ابتعد، آنًا فآنًا أبعد حتى التصق مثل بقعة بقعر الليل. انتبه مرحب لنفسه، استدار، دلّى رأسه ومضى نحو المقهى. كان قلبه قد اشتعل. كان يتمنى أن يصرخ.

هوامش فصل - ١٣ -

(١) فى لعبة الكعاب.

(٢) تربت جام، أو: تربت حيدرية، وكلتاهما مدينة فى محافظة خراسان.

(٣) أحد معانى «أطفال» فى الفارسية: الزوجة والأطفال، أو ربما الزوجة وحدها.

(٤) من أساليب الحوار فى الفارسية، تكـرار الكلمة مع إبـدال حرفها الأول ميمًا فى المرة الثانية.

(٥) حرفيًا تعنى دار المريض أو المرضى وهى المستشفى.

(٦) شمس الدين محمد (١٣٢٠؟-١٣٨٩) شاعر غنائى - عرفانى. كان حافظًا للقرآن ومن هنا اسمه. ديوانه من لوازم البيوت الإيرانية، ويستخار! ونظرًا لهذه الشهرة فمن الكنايات الشائعة: عرف حتى حافظ بالخبر، أو ما يقرب من هذا.

(٧) رجل الدين المخول بالإفتاء.

(٨) أجنبى بالمعنى الشرعى.

(٩) الشاهى وحدة نقد ملغاة، تعادل جزءًا من عشرين من الريال الحالى.

(١٠) المراثى التى تقرأ فى مناسبات وفيات الأئمة، وخاصة مقتل الحسين فى كربلاء.

(١١) الإمام الثامن عند الشيعة الإمامية.

(١٢) كناية عن قطع الرزق.

- ١٤ -

أرَّث المسافر النعسان چبقه وجلس راكعًا على ركبة واحدة. كان المشعوذ مطروحًا يغفو. خرج مشير من المختلى، وضع الوسادة التى كانت تحت إبطه فى محلها وجلس على حافة التخت. كان يأكل نفسه ويبدو أن صدره لا يزال مليئًا ألمًا وأنينًا. قال لنفسه:

- والله بالله، الكل يصعقهم الكهرباء لكن نحن يصعقنا السراج الباهت! لم يحدث مرة فى هذه الدنيا أن جاءتنا قدم خير! كله نحس!

قدم المسافر چبقه لمشير وقال:

- هيا بعد.. طبعًا لكل شىء حد وحدود.

- عشر - ثلاث عشرة ليلة يا أخ، أهو مزاح؟ حقيقة هنا ليس محل خيرات!

- ماذا يمكن أن يعمل المرء؟ ليهدى الله الجميع إلى الطريق الصحيح.

دخل مرحب. أغلق الباب وراءه وبقى. كان وجهه عابسًا وعيناه مليئتين غضبًا. كان مشير يخاف ولا يدرى لماذا؟ أحس أنه ينبغى أن يبادر ويتكلم معه. قال:

- كان الأجدر بك أن تنظر إلى نفسك فى تلك المرآة جيداً.

جلس مرحب دون كلام على الكرسى ودلّى رأسه إلى تحت. استأنف مشير:

- أجريت سياحتك جيداً؟ الآن عد مرة أخرى وكرر كويت! لقد رأيته، صار مثل الحدأة!

حدق مرحب، مثل عُقاب، إلى مشير ولزم الصمت. أشاح مشير وجهه عنه وقال:

- كل من شاء فليحسب كما يهوى. لقد أجبرته بهذه الطريقة أن يعود إلى بيته.

كان مشير يريد جوابًا، ولكن لم يكن عند أحد ما يقول. ولذلك واصل:

- ثم.. هو من ذوى الأرواح الكلبية أيضًا. لا يصيبه شىء قط. كل من يقول لا فليذهب مغرب الغد إلى حاشية السكة الحديد فيراه. إن لم يكن ملتصقًا كالعنكبوت جنب الخط، فأنا لم أفهم شيئًا قط فى عمرى.. ولقد كان ارتجافه ذاك من إيذائه أيضًا!

ألقى نظره على مرحب. كان لايزال صامتًا. قال مشير:

- لن يقع له شيء.. وليصر به شيء، ما شأني أنا؟ أفأنا من أوقعه في هذه المصيبة؟ أم أنني صرت باعث علته وبانيها؟.. كان يمكنه ألا يخرج من باب بيته. يظنونه تقصيري! ليصبً دعاء سوئه على من جعله هكذا! وليأت ذاك الذي يتردد على بيته فيضبطه ويربطه أيضًا.. فلست أنا من امتطى امرأته!

أوقف صوت تهشم قدح وصحنه مشيرًا عن الكلام. كان مرحب قد كسر القدح والصحن. وقد نهض الآن وفيما هو يصرُّ أسنانه انتفش وجهه:

- اختم حديثك بعد!

أطبق مشير شفتيه ولزم الصمت. منح المسافر نظرته وجهة أخرى. رمش المشعوذ، واستدار مرحب نحو الباب، وقف هناك وسمّر عينه من وراء الزجاج المغبر. فرض صمتٌ كثيف نفسه على الجو.

اصطفق مصراع الباب، وظهر مش[1] مولا، المحوًل، عند الباب. كان قد أنزل حافة غطاء رأسه إلى عينيه، وألقى فروة عتيقة على كتفه ويحمل بيده فانوسًا صغيرًا. ذهب مباشرة إلى مكانه، جلس، مسح بيده على أنفه وقال:

- يا مش مشير هات وعاء شايي ذاك لطفًا.

نهض مشير فذهب كي يجلب وعاء شاي مش مولا المحوِّل. جلبه ووضعه عند يده. قال مش مولا:

- هذا الصبي رأيته مرة أخرى.

لم يقل أحد شيئًا. قال مش مولا:

- أعنى ذلك الأعرج. ذاك الذى غلبنى فى شرب الشاى! دائمًا مثل روح الشيطان الخبيثة يلف فى هذه الأنحاء. لا أظنه عنده عقل مضبوط.. ها؟

مرة أخرى لم يتلق جوابًا. فواصل:

- قلت له: أين فى هذا الوقت من الليل؟ ولكن كأن أذنيه لم تسمعا. طأطأ رأسه كما هو وراح يسير، مثل جنازة، على حاشية السكة. ما هذا الشكل وهذه الأوصاف بعد؟ لو رآه واحد فى نصف الليل لأصابه الهول فى مكانه!

قطع مرحب كلام الشيخ:

- متى يصل قطارك بابا؟

نظر المحول إلى مرحب وقال:

- عندما ينتهى وعاء الشاى هذا.

- فأفرغه بسرعة إذن.

بقى المحول ينظر إليه مبهوتًا. دار مرحب حول نفسه، كوّر قبضته، شبكها فى صدر الجدار وقال لنفسه: «أوخ خ خ.. ماذا أتمنى؟ أتمنى أن أوقع الليلة خرابًا بمكان ما. أحرق مكانًا. أفعل شيئًا. أقلب شيئًا».

اتجه مش مولا إلى مشير وقال:

- ليعط الله كل عباده عقلاً.

فقال المسافر:

- لو أن لعبد الله الأعرج ذاك عقلاً مضبوطًا لكان ذهب إلى بيته بدل أن يجعل نفسه تائهًا ضائعًا على هذا النحو.

فقال مشير:

- بالضبط!

قال المسافر:

- يقول مثل قديم: ذاك الذى أعطيته عقلاً، ما الذى لم تعطه؟ وهذا الذى لم تعطه عقلاً ماذا أعطيته إذن؟ هذه المسألة قديمة جداً.

وقال مشير:

- تفضل شيخٌ بالقول: العقل أعلى النعم.

وتولى مولا الكلام فقال:

- يقول: عاقل واحد أكثر قيمة من ألف جاهل.

وواصل المسافر، الذى كأنما وجد من يفهم لسانه:

- يتفضل عاقل بالقول: يمكن أن يذهب الإنسان إلى جوال مع كلب، ولكن ينبغى ألا يذهب مع عديم العقل تحت سماء واحدة!

- أحسنت!

- فى الحقيقة!

كان المسافر قد بدأ حنكه يسخن[٢]. فأكمل كلامه:

- من هنا يستنتج العاقل: يلقى المجنون حجراً فى بئر، ولكن ألف عاقل لا يستطيعون إخراجه.

- أحسنت!

- ممتاز!

واصل المسافر:

- يقول: قالوا للمجنون لا تحرق البيدر، ولكن المجنون ذهب مباشرة وألقى بالمشعل فى البيدر.

ارتفع صوت القطار. وكان هذا خنجراً كأنه يفلع صدر فتاة أبيض. قطع سخونة الكلام. ركض مش مولا المحوِّل مبهوتًا دائخًا نحو فروته، تعثر، نهض، رفع الفروة، الآن سقطت طاقيته، انحنى كى يرفعها، ضرب ذيل فروته الفانوس، سقط الفانوس وانطفأ، أخذ الفانوس وركض نحو الباب. عاد مرحب ليأخذ معطفه، فاصطدم بصدر العجوز. سقطا كلاهما. قذف مش مولا، نهض ومضى نحو الباب، فتح مصراع الباب بقوة وركض فى الجليد. كان مرحب لايزال يضحك. لم يكن يضيع، فى أى وقت، فرصة الضحك. ألقى بطانيته على كتفه، ألقى نقوداً فكة على منصة مشير ومضى نحو الباب. سمَّره فى مكانه صافرة القطار الحادة وخارقة الأذن، صوت فرامل والاحتكاك المثير للقشعريرة للعجلات فوق السكة، ثم صرخة تشبه زعيقًا مختلطًا لبوم وإنسان. انهار فؤاده. أثلجت ساقاه. لم تكن فيهما قوة. دفعه مشير والمسافر والمشعوذ عن أمام الباب وخرجوا راكضين.

كان القطار واقفًا. أخرج ركاب المقصورات رءوسهم من النوافذ وأتلعوا أعناقهم إلى مقدم السكة. كان مساعد السائق قد نزل وراح يبحث عن علامة؛ كان أمامه جسد مثل لحم مفروم. بصق مساعد السائق: "ابن الكلب!". تحرك القطار. التصق المساعد بمقبض الحجرة. انطلق القطـــار. انتبه مرحـــب لنفسه. كان يجـــب أن يســافر. لكن لمَ لم يستطع أن يركض بعزم؟ لمَ لم تكن قدماه تحملانه؟ إن القطار ذاهب. وصل مرحب حاشية السكة. كان حتى ذيل القطار يمضى من أمام ناظريه. يجب أن يركض. لايزال بمقدوره أن يثبت يده بقطعة حديد وينتزع قدمه عن الأرض. ولكنه كان يحس أنه لا يستطيع. انطلق، بصعوبة، نحو مكان كان بضعة أشخاص قد تجمّعوا فيه. أربع خطوات. علقت قدمه بشيء فى الجليد. انحنى. يد مقطوعة وعكازة. مكث. لا، يجب أن يذهب. يجب أن يذهب. ولكن الوقت تأخر. كان القطار يبتعد أكثر فأكثر ويقترب الناس قادمين. جاءوا. تجمعوا. بين الخطين، كانت سُفرة دم مبسوطة. حك المشعوذ جسده بين أسماله وقال:

- إن القطار لا يتعطل من أجل هذه الأشياء!

استدار ونوى أن يذهب نحو المقهى. قال المسافر:

- سيكون سيئًا للمحوِّل!

أشاح مشير بوجهه عن الدم واللحم اللذين ترسبا بين أسنان الحديد، وهز رأسه، وانطلق قائلاً:

- كان كله تقصيره.

ذهبوا جميعًا. احدودبوا ومضوا نحو المقهى. بقى مرحب. صامتًا ووحيداً وثِلجًا. لحظات طوال، بقى واقفًا. ثم، انحنى بهدوء وتناول عكازة مختار، أقام بدنه وسحب نفَسًا، اتكأ عليها ونظر إلى البيت المنفرد عديم النور على الجهة الأخرى من السكة.

كان الليل فوق منكبى مرحب.

هوامش فصل - ١٤ -

(١) مخفف مشهدى: زائر مشهد، مدفن الإمام الثامن.

(٢) = ينفتح باب الكلام أمامه.

المؤلف فى سطور

محمود دولت آبادى

ولد سنة ١٩٤٠ فى قرية قريبة من سبزوار - غربى مشهد، مركز محافظة خراسان فى شمال شرقى إيران - وقضى طفولته فى القرية، ليصل منها إلى سبزوار، وأخيراً إلى طهران. كان فقر عائلته مانعًا فى سبيل دراسته المنتظمة والمستمرة، إذ اضطر إلى ممارسة أعمال عدة وتجربة حرف مختلفة، حتى استقر أخيرًا مدرسًا للمسرح وممثلاً فيه.

وقد أنبأ صدور أول مجموعة قصصية له، سنة ١٩٦٨ عن ظهور كاتب مقتدر. وكانت دقة نظره، قدرته على المشاهدة وبراعته فى استخدام لسان الناس العاديين مادة قصص تُكتب وتنشر تباعًا.

اعتقل سنة ١٩٧٤ ، ووقع فى السجن سنتين، وفقد أثناء ذلك مسودات بعض أعماله.

كانت روايته «جَاىَ خالِىَ سلُوچ» تعد أفضل رواياته وواحدة من أفضل الروايات الإيرانية، ولا يزال بعض النقاد يعدها كذلك، إلا أن روايته «كلِيْدَر» استأثرت باهتمام النقاد والقراء خاصة لحجمها الاستثنائى (عشرة أجزاء فى أكثر من ٢٨٠٠ صفحة) فعدها بعضهم خيرًا من (مكان سلوچ الخالى).

وقد أصدر بعد (كليدر) رواية «روگارَ سِپَرى شده مَرْدُم سالْخورْدَه»، ثم «سلوك».

وكان قد جمع قصصه ورواياته السابقة لكليدر فى كتاب من ثلاثة مجلدات باسم «كارنْامَه سَپَنْجْ»، وكان المفروض أن يتبعها بكتاب لسرحياته وآخر لكتاباته المتفرقة الأخرى.

وقد ورد اسم دولت آبادى مرشحًا لنيل جائزة نوبل عدة مرات.

مسرح أعمال دولت آبادى حواشى المدن والتجمعات السكانية القلقة، والعمال المهاجرين والوقتيين فيها. ويعانى أبطاله من مشكلة مشابهة: اجتثاث من محيط قديم، وعدم استقرار فى المحيط الجديد.

المترجم فى سطور

سليم عبد الأمير حمدان

ولد سنة ١٩٤٠ فى مدينة الكاظمية، شمال العاصمة العراقية بغداد، وفيها أتم دراستيه الابتدائية والإعدادية .

أثناء دراسته الجامعية ترجم مادة نقاش نظرية نشرتها مجلة «الثقافة الجديدة» - وهى أرقى مجلة ثقافية فكرية عراقية آنذاك - مما شجعه على ترجمة كتاب «فوضوية أم اشتراكية» ، الذى يعده كثيرون عمل ستالين الفكرى الوحيد ذا القيمة. لم تنشر الترجمة نظراً للموقف العام تجاه ستالين، ولكنها أهلت المترجم للاشتغال محرراً للأخبار الخارجية فى جريدة «اتحاد الشعب» التى كانت تصدر فى بغداد آنذاك.

درس فى قسم اللغة العربية فى كلية آداب جامعة بغداد، وتخرج منها سنة ١٩٦١ .

اختار وترجم عدداً من قصص مارك توين، اختار لها اسم «مذكرات آدم وحواء وقصص أخرى»، نشرتها له دار الفارابى فى لبنان نحو منتصف السبعينيات، وفى الفترة ذاتها عمل محرراً للشئون الخارجية فى يومية «طريق الشعب»، التى ورثت «اتحاد الشعب».

ترجم روايتى «قـصـة جـاويد» و «آلام سـيـاوش» للكاتب الإيرانى إسماعيل فصيح، ضمن سلسلة المشروع القومى للترجمة. ونشرت له «دار المدى» فى دمشق ترجمته لـ «نداء البداءة» لجاك لندن سنة ٢٠٠٠، و «مكان سلوچ الخالى» لمحمود دولت آبادى سنة ٢٠٠٢، ثم «كأس من ذهب» لجون شتاينبك سنة ٢٠٠٢ .

له عدد آخر من الترجمات ستصدر عن وزارة الثقافة السورية التى ستنشر له أيضاً دراسة مكتوبة عن الرواية الفارسية.

إضافة إلى كتابته الدراسات والمقالات الفكرية والسياسية، فقد كتب مقدمات لعدد من الكتب أيضاً.

شارك فى تحرير مجلتى «المدى» و «النهج» الصادرتين فى دمشق.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات	ڤيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد
٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم

-٣٨	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
-٣٩	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
-٤٠	قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
-٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
-٤٢	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
-٤٣	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
-٤٤	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
-٤٥	التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	أحمد محمود
-٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
-٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
-٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
-٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
-٥١	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	محمد أبو العطا
-٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
-٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
-٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
-٥٥	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
-٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
-٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
-٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
-٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
-٦٠	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
-٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
-٦٢	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى .
-٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	الان وود	رمسيس عوض .
-٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
-٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
-٦٧	مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
-٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
-٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
-٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
-٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
-٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
-٧٣	نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
-٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى
-٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
-٧٦	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	عبد المقصود عبد الكريم

٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٣)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف
١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان

١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية في مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	نخبة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغيرعن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل ألكسندر وفنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب	جون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورب ديفى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	فولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	عصر القيمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفلينا تارونى	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيفال	ريشارد فاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير في البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان
١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت

١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليقمان	محمد محمود أبو غدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة... حالة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد

١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨-	الاتصال الجماهيري	ادوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداوي	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	فخري لبيب
٢٠١-	الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد محمود هويدي
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧-	ليل أفريقي	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدي عبد الغني
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	محمد محمود محي الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود سلامة علاوي
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	نادية البنهاوي
٢١٨-	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	علي إبراهيم منوفي
٢١٩-	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	باري باركر	علي يوسف علي
٢٢١-	شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلي
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	السيد محمد نفادي
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد علي البربري
٢٢٧-	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركي	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمري
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١-	الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستينر	مصطفى إبراهيم فهمي

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال	أرثر هومان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل تود	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيرين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولة والتحرير	الانكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١-	فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	على عبدالروف البمبى
٢٤٤-	الغليان	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	الفلسفة	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أفلاطون	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريين	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض
٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	شوقى جلال

٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	إبراهيم سلامة
٢٧٣-	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	فرانك جوتيران	عبد القادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد
٢٨١-	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق	خوان رولفو	على البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	سمير عبد الحميد
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	نخبة من المترجمين
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت صالح
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦-	مكبث	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣-	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	الشعور	ديفيد بابينو	محمود محمد أحمد
٣٠٨-	علم الوراثة	ستيف جونز	ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩-	الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	جمال الجزيرى
٣١٠-	يونج	ناجى هيد	محيى الدين محمد حسن

٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خايير بيان	عبدالله الجعيدى
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدى	محمود سلامة علاوى
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر.س كلارك	مصطفى فهمى
٣٣٥- عصر الشك	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	فخرى لبيب
٣٤١- قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمن	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	أحمد عمر شاهين

-٣٥٠	بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	عطية شحاتة
-٣٥١	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
-٣٥٢	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
-٣٥٣	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
-٣٥٤	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
-٣٥٥	التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	محمود سلامة علاوى
-٣٥٦	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
-٣٥٧	متون هيرميس	نصوص قديمة	عمر الفاروق عمر
-٣٥٨	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
-٣٥٩	محاورات بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
-٣٦٠	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
-٣٦١	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
-٣٦٢	تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	سيد أحمد فتح الله
-٣٦٣	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
-٣٦٤	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
-٣٦٥	سأم باريس	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
-٣٦٦	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
-٣٦٧	القلم الجرىء	نخبة	البرّاق عبدالهادى رضا
-٣٦٨	المصطلح السردى	جيرالد برنس	عابد خزندار
-٣٦٩	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
-٣٧٠	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
-٣٧١	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
-٣٧٢	عاش الشباب	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
-٣٧٣	كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
-٣٧٤	اليوم السادس	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
-٣٧٥	الخلود	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
-٣٧٦	الغضب وأحلام السنين	نخبة	إدوار الخراط
-٣٧٧	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
-٣٧٨	المسافر	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج
-٣٧٩	ملك فى الحديقة	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
-٣٨٠	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
-٣٨١	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
-٣٨٢	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
-٣٨٣	هدية الحجاز	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
-٣٨٤	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
-٣٨٥	مشترى العشق	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
-٣٨٦	دفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
-٣٨٧	أغنيات وسوناتات	جون دن	بهاء جاهين
-٣٨٨	مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور

٣٨٩-	من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	سليم حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود سلامة علاوى
٣٩٧-	نيتشه	لورانس جين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	سارتر	فيليب تودى	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	كامى	ديفيد ميروفتس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو	مشيائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	الرياضيات	زيادون ساردر	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	رية المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	نخبة
٤١٣-	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الادبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	مصطفى بدوى
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة	روى متحدة	أشرف محمد كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسرامات الرجال الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود سلامة علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	باندراس الطاغية	باى إنكلان	ثريا شلبى

٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك	محمد أمان صافى
٤٢٩-	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	الحركة النسائية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيدس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة محمود

٤٦٧-	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	محمد السيد النة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	عباءة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة محمود
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد
٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	نخبة
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	هدى الصدّة	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق

٥٠٦-	ربما كان قديساً	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	چونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون وودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	نادية رفعت
٥٢٦-	علم السياسة البينية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٥٣١-	ما الذى حدث فى «حدث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	ميلانى كلاين	نخبة	حمدى الجابرى

٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الروف اليمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا. ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر
٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو ألبوا	كمال السيد
٥٧٣-	فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (جـ١)	چون فيزر وبول سيترجز	محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا الذات	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٧٦٩ / ٢٠٠٣